الأمن والمخابرات

نظرة إسلامية

الفهرس:

الباب الأول.. الأمن

الباب الثاني.. الأمن الخارجي

الباب الثالث.. المخابرات

الباب الرابع.. التجسس

تصدير:

يحوز هذا الكتاب عناصر تفرّده من: موضوعه، ومصادره، ومؤلِّفه، ليستقيم له التّميُّز على دعائم ثلاث هي مناط الجدَّة في كل عمل مقروء.

فموضوعاً: يضطلع هذا السفر القيم بِشَغل فراغ في المكتبة العربيّة طال أمده، إذ نحن لا نعهد في الكتابات المعاصرة عرضا لأمر الأمن والمخابرات من وجهة النّظر الإسلاميّة، وما ذالك إلا لتهيّب البعض من التّطرق لموضوع تجفل الأقلام من مقاربته لما يشتمل عليه من مظانّ وشبهات، أو لانتفاء الخبرة التطبيقيّة عمّن يولون هذه القضّية اهتماماً نظرياً، أو لضعف في الاستعداد الفكري لدى آخرين اكتسبوا مراناً طويلاً في المجال الأمني.

وخروجاً على كل تلك المثبطات، يقدم هذا الجهد في ثناياه: عرضاً علمياً موضوعياً للمفاهيم الأمنية وأدواتها وإجراءاتها- موعيةً بالرؤية الإسلاميّة- كما يتيح مُرشدا فريداً للبعثات الدّبلوماسية، هو- دون أدنى تردُد- إضافة قيمةٌ لنظرية الأمن الخارجي.

أما مصادر الكتاب، ففيها من تعدُد المضامين، ما جعل إيماضاتها تتيح للتّناول أن يكون سياحةً فكريةً: فمن أُمهات كتب الشّرع الإسلامي، إلى مؤلفات حديثة في الحرب والمخابرات وتكنولوجيا الاتّصال، إلى فرائد التُراث الأدبي العربي: ترى من كان يظن أن سطوراً في الأمن والمخابرات، سيشغفها الاستدلال بشعر المتنبي ولطائف ابن خلكان؟!.. إنها طرافة التّناول.

والحقّ، أن كلّ ذلك ما كان لُيجدي، لولا أن أُتيح له مؤلفٌ اجتمع له من طول المراس العسكري والأمني والدبلوماسي، مثيل ما اجتمع له من سعة الثّقافة النظريّة، لينعم بثقة القارئ وهو يجيل الطّرف والفكر في مؤلّفه.

ومركز الدراسات الاستراتيجية حين يرعى جهداً كهذا، إنما يسير على نهج ارتضاه: أن يُشرع للقرّاء نوافذ ظلت موصدةً دونهم حقباً، بدعوى السرية والخصوصيّة، بينما هي من صميم العلم الذي هو حقٌّ للجميع.

مركز الدراسات الاستراتيجيّة

مقدمة:

الحمد لله الذي أطعمنا من جوع وآمننا من خوف. والصلاة والسلام على إمام المجاهدين وخاتم الأنبياء والمرسلين الذي أرسله الله أمنا للعالمين، وسلاماً.

أيها القارئ الكريم...

إن ما لحق بالأمن والمخابرات من اتهام بالظلم والبطش والتسلط والإرهاب، يجعل المرء مكتفياً بالتردد وهو يهمّ بنسبتهما إلى الإسلام. غير أني تجاوزت ما ساورني من هاجس كاد أن يكفني عن ابتداء البحث في هذا الموضوع، وما كان ذلك التجاوز إلا بدافع الانتصار لقيم الدين التي ما فتئت تحكم بضوابطها وقيمها قضية كالأمن والمخابرات.

وتقتضي الكتابة في شأن كهذا، إحاطة بنصوص الكتاب والسّنة، والأصول الشرعية الأخرى من إجماع وقياس، ومصالح مرسلة، والأصول الشرعية الأخرى من إجماع وقياس، ومصالح مرسلة، وضرورات تُقدّر بقدرها وفق الصّالح العام، والإحاطة بمثل هذا العلم شرفٌ لا أدعيه، ولكنّ علمي المحدّد بمقاصد الشّرع، وعلمي- المحدّد أيضاً- بقضايا الدّفاع، بوصفي ضابطاً سابقاً بالقوّات المسلحة، وتجربتي المتواضعة في مجال الأمن والمخابرات، كضابط سابق بالاستخبارات العسكريّة ورئيس لجهاز الأمن القومي، واحتكاكي بقضايا السّياسة العامة والسياسة الخارجية، أقول: من خلال هذا كلّه، ترسّخت لديّ قناعةٌ تامّةٌ بأهمية الأمن والمخابرات، وزاد من هذه القناعة عندي، أنَّ كثيراً ممّا يعانيه عالمنا الإسلاميُّ، اليوم، من ويلات وآفات وشرور سببه النفوذ الخارجي، وأن رأس السّنان في نفوذ القوى الخارجيّة هو أجهزة أمنها واستخباراتها، وهذا لا يُبرؤنا من أن غالب ما يعانيه عالمنا الإسلاميّ هو بما كسبت أيدينا: بعد عن هدى الله، وموالاة لأعدائه، وبطراً بنعمته التي لا تحصى، ﴿ومَا أصابكُم من مُّصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفُو عن كثير﴾[1].

وما أكتبه هنا، لا يعدو أن يكون جهد المقلّ، وأنى لآمل أن أرى بعد حين، لا يطول، رصيداً هائلاً من هذا العلم مفصلاً تفصيلاً شافياً، يجمع كلّ الأدلة، وينسّق أفكار كلّ المجتهدين، تطويراً لممارسات أجهزتنا الأمنيّة وتعاليمها، ثم آمل أن ينمو لدى الشُعوب الإسلاميّة، قاطبةً، الحسُّ الأمنيُّ، لأنه أغلى ضمان للنجاة من النُفوذ الخارجي.

وبهذا المقصد، ينتفي الحرج عن الكتابة في هذا الموضوع الحسّاس، ذي الأهمية العالية: لا نُريد بذلك علواً في الأرض ولا فساداً، بل نرجو به وجه الله والآخرة.

اللهم تقبّله وانفع به.

وما توفيقي إلا بالله.

عليه توكّلتُ وإليه أُنيب.

علي نميري 1996

الباب الأول..
الأمن

الفصل الأول: مفهوم الأمن
الفصل الثّاني: مصادر تهديد الأمن
الفصل الثّالث: وسائل تحقيق الأمن

الفصل الأول

مفهوم الأمن

الأمن، لغةً: هو الاطمئنان والسّكينة. وفي المعجم الوسيط (أمن أمناً، وأمانةً، وأمنةً: اطمأنّ ولم يخَف، فهو آمن، يقال لك الأمان: أي قد آمنتك) وفي القرآن الكريم: ﴿قالَ هل آمنُكم عليه إلا كمَا أَمنتكُم على أخيهِ مِن قَبل﴾[2]. والأمنة: الأمن، منه قوله تعالى: ﴿أمنةً نُعاساً﴾[3]. والبلد الآمن: هو البلد الذي أمّن فيه أهله. ﴿والتّينِ والزّيتُونِ. وطُورِ سِنينَ. وهذا البلدِ الأمين﴾[4]. واستأمنهُ: طلب منه الأمان. والأمنة: الاطمئنان وسكون القلب. والآمون: المطّية المأمونة العثار. ولا مأمنُ: موضع الأمن. والأمن هو نقيض الخوف... قال تعالى: ﴿وليُبدّلنّهُم مِن بعدِ خوفِهِم أمناً﴾[5]. والأمن للإنسان هو الطُمأنينة والسّكينة وانتفاء الخوف عن نفسه، ما يجعله مقبلاً على الحياة بروح معنوية عالية، وثقة بالنّفس.

والأمن، اصطلاحاً: يعني الإجراءات الأمنيّة التي تُتخَذ لحفظ أسرار الدّولة وتأمين أفرادها ومنشآتها ومصالحها الحيوية في الدّاخل والخارج. والإجراءات الأمنيّة تتطّلب درجةً عاليةً من التّدريب واليقظة والحذر والمهارة، للوقاية من نشاط العدوّ المتربّص، يقول الله تعالى: ﴿ود الذّين كفرُوا لو تغفلون عن أسلحتكُم وأمتعتكم فيميلُون عليكم مّيلةً واحدةً...﴾[6].

ونظراً إلى الوسائل المتطوّرة والمعقّدة، والى السّرية المتناهية التي يستخدمها العدوّ لتجنيد عملائه وتنفيذ مخطّطاته، أصبح لزاماً على الدّولة اتّخاذ الحيطة والحذر، وإعمال الإجراءات كافّةً، لمواجهة خطط العدو.

وبما أنّ امكانات وقدرات الأجهزة المتخصصة في بلادنا الإسلامية محدودة العدد والعُدة والانتشار، فلا مناص من أن يتحلى أفراد المجتمع بالوعي الأمني، ليكونوا عوناً للدولة، فالأمن مسؤولية الجميع، وليس عملاً تخصيصاً ضيقاً مقصوراً على أجهزة محددة وأفراد بعينهم، بل أن على كل فرد في المجتمع المبادرة بالتبليغ عن أي عمل يقدر أنه يمس الأمن، لأنه- حتما- سيمس مصلحة الجمهور ذاته، لذا فالعمل الأمني يردُ ضمن الإعداد المطلوب لمكافحة العدو ﴿وأعدُّوا لهُم مّا استطعُتم من قُوّة ومن رباط الخيلِ ترهبونَ به عدوّ اللهِ وعدوكُم وآخرينَ من دونهِم لا تعلمونهم اللهُ يعلمهُم﴾[7]، والخطاب في هذه الآية شاملٌ، يؤكد ضرورة الاستعداد والحذر، وفيه تنبيه واضح للمندسّين والمتعاونين مع العدو.

تعريف الأمن:

هناك تعريفات كثيرة للأمن، منها: أن الأمن هو: «الطمأنينة والهدوء والقدرة على مواجهة الأحداث والطوارئ دون اضطراب». ويقول وولتر ليمبان: «إن الدولة تكون آمنة حينما لا تضطر للتضحية بمصالحها المشروعة». ويقول روبرت ماكنمارا: «إن أمن الدول يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتنمية والرفاهية الاجتماعية، وبذلك يكون الأمن هو القضاء على الجوع والفقر». ويقول خبراء الأمن: ان الأمن هو حالة ذهنية ونفيسة وعقلية (security is a state of mind) وفي تراث العرب ورد معنى قريبٌ من ذلك، اذ يقول الشاعر المتنبي:

وما الخوفُ إلا ما تخوّفه الفتى   وما الأمن إلا ما رآهُ الفتى أَمنا

وبالتمعن في هذه التعريفات المختلفة، نجد أن المعاني المشتركة والمتلازمة التي تسبب انعدام الأمن هي: الجوع، والفقر، والخوف، والظلم، وتردى الحالة النفسية والذهنية لدى الفرد والجماعة على السواء.

وقد أكد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أهمية الأمن في حديث جامع، يقول: «من باتَ آمناً في سرِه، مُعافى في بدنه عنده قُوتُ يومه، فكأنما حيزت له الدّنيا بحذافيرها». ومنذ أن أهبط آدم وزوجه من الجنة إلى الأرض تقصمها توقٌ فطريٌّ إلى الأمن، وسعيٌ حثيث للتحرر من الخوف والشقاء، وبحث مضين عن الطريق المؤدي إلى ذلك، وقد بين الله سبحانه وتعالى هذا السبيل في قوله الكريم: ﴿قالَ اهبطا منها جميعاً بعضكُم لبعض عدوٌّ فإمّا يأتينكُم مّني هُدى فمن اتّبع هُداي فلا يضلُّ ولا يشقى﴾[8]. فالابتعاد عن هُدى الرّحمن يورث البغضاء والشك والحيرة والاضطراب، وإتباع هدى الرحمن يُورثُ الأمن والطمأنينة والتثبيت. ولذا كان الأمن- والإحساس بوجوده أو عدمه- حالة نفيسة وعقلية، لان الأمن تدخل فيه عناصر روحية وأخلاقية، ويتأثر بالدين والثقافة والتقاليد وغيرها من العناصر التي تشكل الفرد والجماعة، ولعل من أهم المشاكل التي تؤثر في الإنسان ذهنياً ونفسياً، مشكلتي الجوع والخوف، دعنا نتأمل قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، الذي أنزل ذريته بواد غير ذي زرع، فشعر بانتفاء الأمن في ذلك الموطن ودعا ربه: ﴿ربّ اجعل هذا بلداً آمِنا وارزُق أهلهُ من الثّمراتِ من آمنَ منهُم باللهِ واليومِ الآخر﴾[9]. وقد امتن الله تعالى على قريش بأن منحهم نعمتي الطعام والأمن، فقال سبحانه:

﴿لإيلفِ قريش. إلفهم رحلةَ الشّتاءِ والصيّفِ. فليعبُدُوا ربّ هذا البيت. الّذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾(10). ويضرب الله لنا مثلاً آخر يرتبط فيه الأمن والاطمئنان بالجوع والخوف والظلم، إذ يقول: ﴿وضربَ اللهُ مثلاً قريةً كانت آمنة مُطمئنة يأتيها رزقُها رغَداً من كُل مكان فكفَرت بأنعُم اللهِ فأذاقَهَا اللهُ لِباسَ الجوعِ والخَوَفِ بِما كانوا يصنعُون﴾(11). ومع تطور الحياة وأساليبها استُحدثت مسمياتٌ كثيرة للأمن، مثل: الأمنَ القومي، والأمن الجماعي، والأمن الإقليمي، والأمن الدولي. كما برزت مفاهيم جديدة مع اختراع أسلحة الدمار الشامل، فصرنا نسمع عن توازن الرعب- أو تبادل الرعب- وعن استراتيجيات الردع وسباق التسلح، فيبدو، لأول وهلة، أن هناك تناقضاً في أسلوب تحقيق الأمن بواسطة الخوف، ويبدو هذا المنطق شبيهاً بمنطق أبي نواس:

دَع عنكَ لومي فإنّ اللومَ إغراءُ وداوني بالتي كانت هي الدّاءُ

إنّ أسلوب الرعب، في واقع الأمر، أسلوب غريزي، وإننا لنشاهده يومياً لدى الطيور والحيوانات، حين تضخم ريشها، أو تنفخ أوداجها، أو تفرد أجنحتها، وهي أساليب غريزية لإظهار القوة كيلا تحتاج إلى استخدامها. كما نشاهد ذلك في عالم الإنسان، حين تستخدم بعض الجماهيري في خدمتها حراساً مفتولي العضلات بقصد الردع النفسي لمن تحدّثه نفسه أن يخل بالأمن. والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «نُصرتُ بالرُّعب مسيرة شهر»، ويفهم من هذا الحديث الشريف أن إظهار القوة للأعداء يُعدُّ من عوامل النصر عليهم. وإذا قرأنا هذا الحديث مع الآية: ﴿وأعدُّوا لهُم ما استطعُتم من قُوة ومن رّباطِ الخيلِ ترهبونَ به عدوّ اللهِ وعدوكُم وآخرين مِن دونهِم لا تعلمونُهم اللهُ يعلمهُم﴾(12)، يتضح ما لإعداد القوة، وإظهارها من أثر في إخافة العدو. وقد قاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه بضعاً وعشرين غزوة، قاتل العدو في تسع منها، وفر المشركون في تسع عشرة غزوة دون قتال. وفي العام الثاني لموقعة مؤتة- في السنة التاسعة الهجرية- قاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه غزوة تبوك، فأظهر قوة المسلمين للروم، ثم عاد إلى المدينة المنورة، فكان لتلك الغزوة أثرها المعنوي السلبي في الروم وحلفائهم الغساسنة.

الأمن القومي:

يختلف مفهوم الأمن القومي من دولة إلى أخرى، تبعاً لقوة اقتصاد الدولة وآلتها الحربية وأهميتها السياسية والاستراتيجية، وغير ذلك من العوامل. ولكن ما تعارفت عليه الدول هو أن حدود الأمن القومي للدولة تجسدها الحدود السياسية والطبيعية لتلك الدولة، وهذه الصيغة أفضل من الصيغة التي تحدد مجال أمن دولة ما، بالمدى الذي تصل إليه مدافعها وأسلحتها، وهي صيغة سادت في الماضي ثم بادت بقيام عصبة الأمم ثم هيئة الأمم من بعدها. ولكن من المؤسف أن الصيغة القديمة بدأت تُطل برأسها من جديد، إذ نرى في عالم اليوم أن بعض الدول تعتبر أن حدود أمنها القومي تشمل العالم أجمع، ويحدث هذا، عادة، عندما تنفرد دولة ما بالسيادة، فعتبر نفسها- ويقر لها آخرون بذلك- الدولة الأعظم في العالم. ومثل هذا الاعتقاد هو أخطر الصيغ على الأمن والسلم الدوليين، لأنه يؤدي إلى التدخل في شؤون الآخرين وملاحقتهم إلى الحد الذي يمكن أن ينجم عنده انفراط أمن المجتمع الدولي. والدول عادة توازن موازنة دقيقة بين أمنها القومي وحدوده من جهة، والتعايش السلمي مع الآخرين وعدم المساس بأمنهم القومي وحدوده من جهة أخرى.

ولعل أسباب كثير من التوتر والحروب والصراعات بين الدول مردُّها إلى الطموحات غير المشروعة، والاعتقادات غير المبررة التي تؤدي إلى التعدي على الآخرين وظلمهم.

وتلجأ كثير من الدول إلى صيغ مختلفة لتعزيز الأمن، مثل إبرام الاتفاقات الدفاعية والأمنية، وعقد الأحلاف العسكرية ومعاهدات عدم الاعتداء، واتفاقيات تبادل المعلومات، وغير ذلك، بينما تلجأ بعض الدول إلى عزلة إقليمية كصيغة من صيغ الحفاظ على الأمن القومي. ومهما اختلفت الطرق التي تنتهجها الدول فإن الهدف واحد، هو: الحفاظ على المصالح العليا.

ويقول هارولد براون- أحد وزراء دفاع الولايات المتحدة السابقين-: إن الأمن القومي هو: (القدرة على صياغة وحدة الأمة ووحدة أراضيها، والحفاظ على علاقاتها الاقتصادية مع دول العالم بشروط معقولة).

ويقول غيره بأن الأمن القومي هو: (قدرة الدولة على حماية كيانها ضد الأخطار الماثلة أو المحتملة، وقدرتها على حماية مجموع مصالحها القومية، وإدارة مواردها بما يحقق الأهداف القومية من أجل رفاهية الشعب).

وفي تراثنا الإسلامي شواهد كثيرة تُدَلل على مشروعية المعاهدات والأحلاف، والاتفاق على التعايش السلمي، قال تعالى: ﴿وأذانٌ مِن الله ورسُوله إلى النّاس يومَ الحجّ الأكبر أنّ اللهَ بريءٌ مّن المُشركينَ ورسولُهُ فإن تبتُم فهُو خيرٌ لّكُم وان توليتُم فاعلمُوا أنّكم غيرُ معجزي الله وبشّر الّذين كفرُوا بعذاب أليم. إلا الّذين عاهدتُم من المشركينَ ثمّ لم ينقصوكُم شيئاً ولم يظاهرّوا عليكُم أحداً فأتمُّوا إليهم عهدهُم إلى مدتهِم إن الله يُحب المُتقينَ. فإذا انسلخَ

الأشهُرُ الحُرُمُ فاقتلُوا المُشركين حيثُ وجدتموهُم وخذوهُم واحصروهُم واقعدُوا لهُم كلّ مرصد فإن تابُوا وأقامُوا الصلاةَ وآتوُا الزّكاة فخلّوا سبيلهم إن الله غفورٌ رحيمٌ. وان أحدٌ مّن المشركِينَ استجاركَ فأجرهُ حّتى يسمَعَ كلامَ الله ثُم أبلغه مأمنهُ ذلكِ بأنهُم قومٌ لا يعلمُونَ. كيف يكونُ للمُشركينَ عهدٌ عند اللهِ وعند رسولهِ إلا الذينَ عاهدتُم عند المسجدِ الحرامِ فمَا استقاموا لكُم فاستقيموا لهُم إنّ الله يحبُّ المتقينَ﴾[13].

وقد عقد الرسول الكريم العديد من المعاهدات مع اليهود ومع الكفار والمشركين، منها معاهدته مع يهود بني عاديا من تيماء، التي جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتابٌ من محمد رسول الله ρ لبني عاديا: أنّ لهم الذمة وعليهم الجزية، ولا عداء ولا جلاء، الليل مد والنهار شد».

ومعاهدته ρ مع يهود بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع، التي جاء فيها:

«وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتَهم، وأنّ بينهم على من حارب أهلَ هذه الصّحيفة وأنّ بينهم النصح والنصيحة والبر، دون الإثم، وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وأنّ النصر للمظلوم، وأنّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأنّ يثربَ حرامٌ جوفها لأهل هذه الصحيفة».

وفي هذه المعاهدة ـ كما يبتدي- اتفاق جلي على الدفاع المشترك عن يثرب، وهو اتفاق سبّاق في هذا المجال.

كذلك أقام الرسول ρ صُلحاً مع قريش هو (صلح الحديبية)، الذي قاد إلى تأمين الجبهة الداخلية، والتفرغ لمجابهة اليهود، وكان أن أسفر ذلك الصلح عن فتح تاريخي للإسلام.

وقد أوجب الإسلام الوفاء بالعهود والاتفاقات وحذر من نقضها، إلا بالأسباب الموجبة التي تجوّز نقضها، قال تعالى: ﴿يا أَيّها الّذين آمنُوا أوفُوا بِالعقُودِ﴾[14]. أو ﴿فمَا استقامُوا لكُم فاستقيمُوا لهُم﴾[15].

الفصل الثاني

مصادر تهديد الأمن

يتخذ تهديد الأمن أنماطاً متعددة، بحسب تعدد المجالات المرتبطة بالأمن ذاته، إذ يكفي أيٌ منها لأحداث خلل في مسيرة الدولة، لما يترتب على ذلك من تأثير في استقرارها، وفيما يلي نعرض لتلك الانماط بمجالاتها المختلفة.

التهديد العسكري والأمني:

أ ـ النمط الداخلي.

ومن مهدداته:

* وجود مليشيات مسلحة معارضة.
* وجود تنافس ضَار بين مختلف قوى الدولة، خاصة في قوى الأمن المتعددة، عند غيبة التنسيق بينها.
* عدم قدرة الدولة على توفير أمن المواطن وحمايته.
* انتشار الفساد وسط قوى الأمن.
* الظلم الاجتماعي، واشتراك قوى الأمن في تكريسه.
* ضعف الإنتاج الحربي في الذخائر وقطع الغيار والمعدات.
* انخفاض المستوى التّقني في المعدات.
* عدم قدرة الدولة على تعبئة امكاناتها العسكرية والمدنية.

ب ـ النمط الخارجي:

ومن مهدداته:

* الغزو المسلح.
* الحشود المسلحة.
* المناورات أو التدريب على الحدود أثناء التوتر السياسي.
* امتلاك الدول المجاورة أسلحة هجومية متقدمة.
* دخول دولة مجاورة في حلف عسكري أو أمني مع العدو، خاصة عندما يكون ضمن نصوص الحلف ما يهدد أمن الدولة ومصالحها.
* فرض الحظر على إمدادات الأسلحة والذخائر والطاقة وقطع الغيار والسلع الاستراتيجية، وتجميد أرصدة الدولة بالخارج.
* اضطراب أمن دول الجوار وآثاره السلبية، مثل تدفق اللاجئين والأسلحة.

وفي دراسة هذه التهديدات، ينبغي تحديد العدو المحتمل، ودراسة أنماط العمل العدائي التي سلكها في الماضي، والاحتمالات التي قد يسلكها في المستقبل، ودراسة مدى رفض أو قبول الرأي العام ـ العالمي والمحلي والإقليمي ـ أعمال العدو، وادعاءاته.

التهديد السياسي:

وله أيضاً وجهان:

أ ـ النمط الداخلي:

* ضعف المشاركة الشعبية في النظام السياسي، وعمق الشعور بعدم الانتماء والولاء.
* وجود تأثير ضار وضغوط من جماعات المصالح على النظام السياسي.

* ضعف السلطة التنفيذية.

* تناقض الأهداف وعدم وضوحها.

* انتفاء الاستقرار السياسي، وكثرة تعديل القرارات، والتعديلات الوزارية.

* الاستقطاب والصراع الاجتماعي والفئوي والقبلي الحاد.

ب - النمط الخارجي:

* تمجيد عضوية الدولة في المنظمات السياسية والدولية، أو فصلها من المنظمات والهيئات الدولية.

* فرض العقوبات من المنظمات السياسية الدولية.

* التحالف والتكتل السياسي ضد الدولة.

* قطع العلاقات الدبلوماسية.

* أعمال الجاسوسية والتخريب.

* ترويج الدعاية والشائعات ضد الدولة، لعزلها عن المجتمع الدولي.

التهديد الاقتصادي:

أ - النمط الداخلي:

* الفقر وانخفاض مستوى العيش، وضمور الناتج القومي.

* انتفاء العدالة في توزيع الثروة ووجود فوارق طبقية هائلة.

* ارتفاع نسبة البطالة.

* ضعف توفر الطاقة والمواد الأولية للصناعات.

* خلل التموين، وقلة الإنتاج، وتوقف الاستيراد لتلبية النقص في الحاجات الأساسية.

* عدم الاكتفاء من المواد الاستراتيجية.

* غياب - أو ضعف - الرقابة الحكومية على الحركة الاقتصادية، وعلى وجه الخصوص في: المصارف الخاصة والأجنبية، والشركات متعددة الجنسيات.

ب - النمط الخارجي:

* فرض الحصار الاقتصادي على الدولة.

* المقاطعة الاقتصادية.

* التكتلات الاقتصادية المعادية.

* إيقاف المعونات.

* التدخل الخارجي لفرض أوضاع اقتصادية لا تتفق ومصالح الدولة.

* رصد نقاط الضعف في التخزين، والنقص في المواد الاستراتيجية.

التهديد الاجتماعي:

ويتمثل في:

* الاستلاب، ونشر إيديولوجيات وعادات وتقاليد اجتماعية وسلوكية ضارة بالمجتمع.

* استخدام الحرب النفسية ضد الدولة عن طريق الإعلام المضاد.

* تصدير اللاجئين.

* كسب جماعات سياسية موالية للأجنبي.

* إثارة النعرات القبلية والطائفية.

* تنافر التركيبة الاجتماعية واشتعال الحروب القبلية أو الأهلية.

* تدنى مستوى التعليم والصحة.

* تدنى مستوى الإرادة والانضباط.

* الاغتراب، والنُّزُوح، والهجرة العشوائية.

* وجود خلل في النمو السكاني.

وسائل تحقيق الأمن:

إن الوسائل التي تحقق الأمن للدول والمجتمعات والأفراد كثيرة، فمنها ما هو إجرائي، مثل تشكيل المجالس الأمنية الدفاعية المتخصصة ولجانها الفنية، وتكوين أجهزة متخصصة في شؤون الأمن، وقوى أمنية مختلفة يُعهد إليها بحفظ الأمن، وهي قوى عادة ما تكون مسلحة ولها سلطات تنفيذية، مثل إطلاق النار، واستخدام القوة، والاعتقال والتحري والتفتيش.

ومن الوسائل ما هو سلوكي وأخلاقي، مثل تحقيق العدالة الاجتماعية، ومراعاة حقوق الأقليات، وإشاعة الحرية والسلوك الرشيد في قيادة البلاد.

ولا تختلف الدول والمجتمعات في تقدير قيمة الإجراءات الأمنية والجانب الأخلاقي والسلوكي في تحقيق الأمن، ولكن الاختلاف يأتي من أساليب التنفيذ، وأنماط السلوك، وسوف نستعرض صحائف من هدى التجربة الإسلامية في تفصيلنا الحديث عن وسائل تحقيق الأمن التي تردُ كما يلي:

أولاً: تكوين مجالس متخصصة:

تقوم الدول بتكوين مجالس متخصصة للأمن، تُسمى مجالس الأمن القومي ومجالس الدفاع الوطني، كجزء أساسي من الإدارة الحكومية العامة. وكل دولة تنظم مجالسها وفقا لنظام الحكم فيها، وأسلوب اتخاذ القرار لديها، وبناءً على تخطيط الهيكل التنظيمي للدولة. وغالبا ما تتحكم في طريقة تكوين مثل هذه المجالس واختصاصاتها عوامل أخرى، مثل التهديدات المتوقعة والطوارئ المحتملة، وامكانات الدولة، ونواياها، وطموحاتها، وأهدافها.

وكما تتباين هذه المجالس في شكل تكوينها، تتباين أيضاً في اختصاصاتها، غير أن اختصاصاتها العامة تتمحور في تقديم النصح والمشورة لصانع القرار ومتخذه، دون أن تتعدى ذلك إلى وضع القرارات وصياغة السياسة، على الرغم من أن المجلس قد يضم أحياناً رئيس الدولة ووزرائه الأساسيين، ولكن ذلك لا ينفى أن أدق مهام المجالس المتخصصة، المشاركة في وضع خطط الأمن والدفاع عن البلاد، والإشراف على المسائل المتعلقة بتكوين أجهزة الأمن والقوات النظامية، وتنظيم قوات الاحتياطي والدفاع الشعبي، والتنسيق بين هذه القوى المختلفة، وإعداد خطط التعبئة العامة وبرامجها، وخطط الطوارئ والحروب، للاستفادة منها في دعم احتياجات التعبئة العامة أو إعلان الحرب.

كما تختص مجالس الأمن القومي بوضع السياسات التنفيذية، والخطط والبرامج الهادفة للحفاظ على امن الدولة وسلامتها، والإشراف على أجهزة الأمن ونشاطها في الداخل والخارج. وتتبع مجالس الأمن عادة لجان فنية للقيام بمهام البحث والدراسة، وتقصى القضايا المتعلقة بالأمن القومي أو الدفاع الوطني.

ونجد ـ أحياناً ـ حدوداً فاصلة بين الأمن ومهامه، والمخابرات ومهامها، كما قد نجد تطابقا في المهام بقدر محدود، وهنا تقوم المجالس المتخصصة بالدور التنسيقي لكيلا تتضارب الاختصاصات.

ونظام المجالس المتخصصة يهدف إلى تعامل الدولة مع الموضوعات التي تهدد أمن الدولة وسلامتها، بأسلوب يحقق تحمل المسؤولية ـ تشاركاً ـ بين مصادر القوة الثلاثة: السلطة السياسية، والسلطة التنفيذية، والسلطة التشريعية.

ومعظم المجالس المتخصصة تتكون من:

رئيس الدولة (أو نائب رئيس الدولة)، وزير الدفاع، وزير الخارجية، رئيس المخابرات، وزير الداخلية،

مستشار رئيس الجمهورية للأمن، مستشار قانوني، وزير الحكومات المحلية، وتتكون اللجان الفنية من:

مستشار رئيس الجمهورية للأمن، مدير العمليات الحربية، مدير الخطط السياسية، مدير الميزانية ـ وربما المراجع العام، أو نائبه ـ موظفين فنيين من الأمن ورئاسة الجمهورية.

مهام مجلس الأمن القومي:

لمجلس الأمن القومي عدد من المهام بالغة الخطورة، تتجسد في:

* التنسيق: لخلق تماسك بين الاتجاهات الرئيسية لحركة قوى الدولة، ضماناً لتجانس الجهود والاقتصاد في الوقت.

* الربط بين الهدف القومي والسياسة، ومصادر القوة، بطريقة أفضل.

* الربط بين السياسات العسكرية الداخلية والخارجية.

* القيام بتقديم النصح والمشورة لصناع القرار فيما يتعلق بتكامل السياسات الداخلية والخارجية المرتبطة بالأمن القومي، تحقيقاً لتضافر الجهود العسكرية والمدنية بشكل فعال في المسائل المتعلقة بالأمن القومي.

* تحليل وتقويم الأهداف والارتباطات السياسية، وتحديد المخاطر التي تتعرض لها الدولة.

* مراجعة ميزانيات أجهزة الأمن والمجهودات الأمنية والحربية.

وحين نستطلع التجربة الإسلامية نجد أن مجالس الشورى تُشكل ضمانة، بإشراك فئة أوسع من أهل الرأي والمشورة، تضمن سلامة القرار سياسياً واجتماعياً وشرعياً، إضافة إلى تقديرات الدولة، حتى لا يتقيد وليُّ الأمر بخيارات محدودة، تجعله أسير معلومات محجوبة من بعض الجهات ـ كمراكز القوى ـ لغرض أو هوى. كما أن على أجهزة الأمن، في التجربة الإسلامية، أن تستفيد من الشعب كله: ناصحا ومعينا لها. فجهاز الأمن الإسلامي لا يكافح العدو بمفرده ولكن المجتمع المسلم كلّه يغدو عيونا حارسة، تدفعه في ذلك دواعي الإيمان، تعاونا على البر والتقوى ضد الإثم والعدوان. لذا فإن على الأجهزة الأمنية ألا تلغى دور الجمهور بحجة السرية أو الاختصاص، وان تستفيد من المجتمع، لأنه أوسع انتشاراً ولا يحتاج سوى جرعات من الوعي الأمني ليؤدي دورا أحرى به أن يؤديه في حفظ امن بلاده، ففي تجارب الأمن نجد كثيراً من القضايا الخطيرة تُكشف مصادفةً، بواسطة مواطنين لا يعملون في الأجهزة الأمنية. ونحن هنا لا ندعو إلى مجتمع بوليسي، ولكن إلى وحدة المجتمع في حمل تبعات الوطن.

وفي التجربة الإسلامية ـ كذلك ـ مجالس للشورى تنظر في القضايا قيد النظر والدراسة من جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والشرعية كافة، لتمكن صانع القرار من اتخاذ القرار السليم: ﴿وشاورهُم في الأمر فإذَا عزمتَ فتوكَّل علَى اللهِ﴾[16]. وتتسع في النظام الإسلامي دائرة الشورى والمناصحة والحوار، وهي مسؤولية كلّ المسلمين، فالنظام الإسلامي مؤسس على حرية الرأي والوحدة، وعلاقات المجتمع الإسلامي في ممارسته سلطة الحكم تتحرى إجماع المسلمين في اتخاذ القرار، بعيداً عن المناورات، والعصبيات، قال تعالى: ﴿فبمَا رحمة منَ اللهِ لِنتَ لهُم ولَو كنتَ فظاً غليظَ القلبِ لانفضُّوا مِن حولكَ فاعفُ عنهُم واستغفِر لهُم وشاورهُم في الأمرِ فإذَا عزمتَ فتوكَّل علَى اللهِ إنَّ اللهَ يحبُّ المتوكلِين﴾[17].

ويمكن أن تتدرج الشورى هرمياً، صعوداً من القاعدة العريضة إلى قمة الهرم. ومجالس القمة يختار لها المسلم القويُّ الأمين، الذي اشتُهِر بالعلم والعمل والصدق، ورجاحة الرأي، والفطنة والخبرة والمران. قال الشاعر:

وانفع من شاورت من كان ناصحاً *** لبيباً فأبصر بعد ذا من تُشـاورُ

فليس بشافيك الصديـق ورأيـه *** عدو، ولا ذو الرأي والصدر واغر

وقال بعض العلماء: إن الآراء هي قياس أمور مستقبلة على أمور ماضية، وأن مادة الرأي التجارب، مباشرة أو سماعا، فلكثرة التجارب نُدب إلى استشارة المشايخ.

وقال المأمون لولده موصياً ومعلماً: «استشيروا ذوي الرأي والتجربة والحنكة، فإنهم أعلم بمصارف الأمور وتقلبات الدهور، وأطيعوهم وتحملوا ما يُغلظون به من قول، وما يكشفونه من عيب، لما ترجونه من حالة تُصلح، وفتق يُرتق، فإنّ من جرعكم المرارة لشفائكم أشفق ممن أطعمكم الحلاوة لسقامكم».

وفي زماننا هذا الذي نبغ فيه أبناء المسلمين في كل علم وفن، يحسن الأخذ بمجالس الشورى المتخصصة، المكونة من علماء حاذقين في علمهم وتخصصهم، وحبذا لو اختيرت هذه المجالس من أشخاص متوافقين ذهنيا،

وممن وهبهم الله قدرات ومواهب تفوق القدرات العادية، مثل الإدراك فوق الحسي، والشفافية، والحضور، وسرعة البديهة، والقدرة على تكوين صور ذهنية واضحة عن احتمالات المستقبل.

وفي تقديرنا، أن مثل هذه المجالس الشورية إذا توفرت فإن رأيها يكون أقرب إلى الصواب، فالدول العلمانية، نفسها، تكون جماعات من هذا النوع، ممن تتوافر فيهم درجات ذكاء عالية، ومواهب استثنائية.

قال البلخي: «شاور في أمرك من جرب الأمور وخبرها، وتقلبت عليه الحوادث وباشرها، من لم يوهنه ضعف الهرم، ولم يغيره حادث السقم» ويروى أن أكثم الصيفي «حكيم العرب» اجتمعت عليه بنو تميم في حرب يوم كلاب فقالوا: «أشر علينا بالصواب فإنك شيخنا، وموضع الرأي منا»، فقال لهم: «إن الكبر قد شاع في جميع بدني، وإنَّما قلبي بضعة منى، وليس معي من حدة الذهن ما بدا له من الرأي، ولكنكم تقولون فأسلمه، لأني أعرف الصواب إذا مر بي».

وقال أحد حكماء العرب يصف آخر: «فلان له فكر عميق، ورأي دقيق، يعرف من مبادئ الأفعال خواتم الأعمال، ومن صدور الأمور إعجاز ما في الصدور، ورأيه طبيب المملكة، وراقيها وراقع خرق الدولة ورافيها».

وقال آخر:

موفق الرأي ما زالت عزيمته *** تكاد منها الجبال أصم تنصدعُ

كأنما كانـت الآراء منزلـها *** بواطن في قلوب الدهر تطلـع

وفي وصف الشفافية، والاستبصار يقول أحدهم:

بصير بأعقاب الأمور كأنما *** يرى بصواب الرأي ما هو واقع

ثانياً: الإجراءات الأمنية والمخابرات المضادة:

ويشمل هذا الجانب كل الإجراءات الأمنية الوقائية ومكافحة التجسس، والإجراءات الوقائية التي تقوم بها الأجهزة الأمنية.

ونظرا إلى أن إجراءات الأمن التي تقوم بها الأجهزة هي التي تواجه نقداً كثيراً، وتحدث فيها بعض التجاوزات وتسبب حرجا كبيرا للسلطة، فسوف نسترسل ـ هنا ـ في سرد بعض الضوابط التي يجب أن تصحب هذه الإجراءات.

* ينبغي أن تلتزم أجهزة الأمن بحدود الشرع إزاء المواطنين والرعايا الأجانب، وأن ترعى حرماتهم في الخصوصية والمال والعرض والنفس، وأن تسلك مع الناس سلوكا يوضح لهم البون الشاسع بين أجهزة الاستبداد والتجبُّر، والأجهزة التي تخدم أهدافاً إسلامية نبيلة. كما يجدر أن يتحلى أفراد هذه الأجهزة بالأدب والتهذيب حتى عند توقيف المشتبه فيهم، وان يتحلوا بالانضباط والسرعة في إنجاز المعاملات المتعلقة بالجمهور. ومعروف أن المعاملات المدنية عندما ترسل إلى أجهزة الأمن لا يجرؤ الكثيرون على استعجالها، لذا فان على هذه الأجهزة إنجاز معاملات الناس دون إبطاء، وتفادى تعطيل المصالح.

* اتخاذ التدابير اللازمة لحماية الأمن، والاحتراز والحيطة من الإجراءات التي لا غنى للدولة عنها، خاصة في المطارات والموانئ وكل ثغور الدولة. وعلى أجهزة الدولة أن تُحكم التدابير وتعمل جميع الإجراءات ـ في سرية تامة، وسرعة وانضباط ـ للكشف عن محتويات الحقائب والطرود، بل يمكن أن تمر الحقائب والطرود إلى مكان آمن يجري فيه الفحص وضبط المحظورات واتخاذ الإجراءات ضد المخالفين، بدلا عن إخضاع الجميع لإجراءات تعسفية وتأخيرهم ساعات طوالاً بدواعي الأمن. ولقد سبقنا الغربيون في ذلك، فنحن نعلم أن إفلات المجرم في موانئهم ومطاراتهم من ضروب المستحيل، وبرغم ذلك فان إجراءاتهم سريعة، ولا يكاد يشعر المواطن أو الزائر انه تحت رقابة دقيقة.

* إن الرصد الأمني وسيلة اقتضتها الضرورات التي تبيح المحظورات، ولا ينبغي لأجهزة الأمن أن تترصد أو تتجسس على أحد إلا لضرورة تستدعي دفع الخطر عن الصالح العام. وفي هذه الحالة ينبغي وضع ضوابط دقيقة تمنع أفراد الأمن من الإطلاع على خصوصيات الناس وعوراتهم، وإذا جرى إطلاع على ما لا يجوز الإطلاع عليه يُشترط وضع الضوابط التي تمنع استخدام المعلومات المطلع عليها ضد الشخص المعنى، وعادة ما تُكلف جهة قانونية وأمنية عليا لتقدير ضرورة البدء بالرصد، وتحديد الأفراد الذين يُسمح لهم بالإطلاع على نتائج الرصد، واستخدام أكفأ الوسائل وألطف السبل التي تضمن سريته، تفادياً للحرج مع المرصود، لان نتيجة الرصد قد تُسفر عن براءة ساحته، ولأنه، إن كان مذنباً، فسوف يفلت من العقاب إذا شعر بأنه مرصود، فتختفي معالم

جريمته.

* رغم التوثيق والتحوط عند اختيار العاملين في الأجهزة الأمنية، فان مهنة الأمن فيها من الفتن والمغريات ما قد يسبب انحرافات خطيرة، فينبغي تشكيل قوة سرية مهمتها مراقبة أفراد الجهاز أنفسهم، وإعادة فحصهم حين تبدو شبهة انحراف مالي أو أخلاقي أو امني. وقد تُعين هذه القوة من غير العاملين يومياً في أجهزة الأمن، وتُحط بقدر عال من السرية، وتسنُّ قوانين رادعة تحاسب وتعالج حالات التجاوز من العاملين في أجهزة الأمن.

* ينبغي ابتداع أسلوب لتحقيق رقابة صارمة على الأجهزة الأمنية من قبل الدولة والشعب، لئلا تحتكر الأجهزة هذه المعلومات وتؤسس عليها وحدها الرأي والنصح لصُناع القرار، ما يجعلهم أمام خيارات محدودة. وينبغي ان يحدد الأسلوب المبتدع وسيلة للرقابة على إجراءات الأمن وعملياته، والميزانيات المالية المخصصة، واستغلالها الاستغلال الأمثل، ومراجعة الأهداف الموضوعة للأجهزة ومدى النجاح في تحقيق تلك الأهداف، ومحاسبة المسؤولين عند الانحراف عما هو مقرر.

* غالباً ما تنزع الحكومات التي تنشأ عن ثورة إلى ابتلاع الثورة، والترفع على المجتمع وإخضاعه لأحكامها، بينما تحاول الثورة تثبيت سلطتها ومفاهيمها في التثوير والتجديد، ولتفادي التضارب هنا، ينبغي إلا يُعاد تكوين الأجهزة على ذات الأسس العلمية التي كانت قائمة قبل الثورة ذاتها، كما ينبغي تفادي الاحتفاظ بالإدارات السابقة.

* لا شك في أن تغييراً هاماً يكون قد نشأ حين تنتقل أجهزة الدولة إلى أيدي الثورة. ولا شك في أن هذا التغيير يُلحق أضراراً بمصالح عدد من القوى السياسية والاجتماعية الفاسدة أو العميلة، من ذوي النفوذ في الدولة السابقة، ولا شك في أن بعض الدول المجاورة والقوى الدولية الكبرى ستجد أن التغيير يطرد في غير مصلحتها، الأمر الذي يجعل من المحتم أن تجري محاولات للعودة إلى الوضع السابق، أي انه لا مفر من محاولة القيام بانقلاب عسكري، أو تمرد مسلح أو تخريب داخلي، أو هجوم خارجي، أو حصار دولي (جزئي أو كلي)، ففي هذه الحالات تهبُّ الأجهزة لتردع المعادين بكلِّ قوة، وينبغي ـ هنا ـ الانتباه إلى أن لا يمتد الوضع الاستثنائي عند عودة حالة الأمن، وينبغي ألا يتجاوز الردع هدفه ومداه.

* في حالات الأمن الاستثنائية ـ مثل الانقلابات أو الهجوم المسلح، أو غيرها من حالات اضطراب الأمن الخطيرة ـ كثيراً ما نجد بعض أفراد الأمن يلجأون إلى التوسل بوسائل ليست شرعية ولا إنسانية، كأعمال التعذيب والتنكيل ـ وربما القتل ـ فيجب، عاجلاً، وضع حدٍّ لهذا السلوك، ومحاسبة مرتكبيه، مهما كانت مبررات مسلكهم.

* من الضروري وضع قوانين ولوائح تحكم اعتقال النساء والتحقيق معهن، بحيث يُراعى الشرع في هذه القوانين واللوائح.

* حقيق بالدولة أن تنشئ جهاز الأمن بقانون علني منشور يطلع عليه من يشاء، فهو قانون غير سري، وأن يكون الجهاز جزءاً من الحكومة المركزية، منعاً للشائعات المغرضة التي تسرى عن أهداف الجهاز وأسلوب عمله، وعن وجود أجهزة سرية تعمل في الخفاء، لان مثل هذه الشائعات تعرقل تعاون المواطنين مع جهاز الدولة الرسمي، ثم إن هذه الشائعات ترمى إلى زعزعة الأمن والطمأنينة لدى المواطنين.

* حفاظاً على امن المعلومات يتحتم مراعاة الحيطة عند مراجعة ونقاش أعمال وأداء الجهاز، وأن يكون ذلك في جلسات سرية.

* إن مركزية الأمن ضرورية جداً. وعند إنشاء مكاتب أمن بالولايات أو الأقاليم المختلفة ينبغي أن تكون تبعية تلك المكاتب لرئاسة الجهاز ـ لا لحاكم الإقليم ـ وذلك ضماناً للسرعة والكفاءة والفعالية وتدابير الرقابة على الجهاز من قبل سلطة الدولة المركزية.

* يجب أن يكون ضمن تنظيم الجهاز مستشار شرعي قانوني، للتثبت من شرعية وقانونية التصرفات والإجراءات، وحبذا لو كان المستشار مجلساً متكاملاً.

* يسمح لرئيس الجهاز وكبار المسؤولين بالاتصال المباشر بأعلى السلطات في الدولة، لأن في عمل الأمن ظروفاً تستدعي السرعة والإجراء العاجل والسرية.

* يجب الاهتمام بأن يُنص في لوائح الجهاز على التنسيق بين قوى الأمن المختلفة وطريقة التنسيق وزمانه ومكانه.

* تُكوَّن وحدة حسابية سرية لمواجهة الميزانيات وتدقيق الحسابات، ورفع تقارير عما يسفر عنه عملها.

* لتقليل عدد العاملين غير المتخصصين، يُنصح بتدريب العامل الواحد على أكثر من حرفة لرفع راتبه والإفادة من وقته، وذلك يجعله أقل عرضة لإغراءات الأعداء.

* كلُّ قضية يُتعامل معها ينبغي أن تكون مكتوبة ومصدقة، لئلا ينحرف الأعضاء، ولكي لا يُسخِّروا سلطاتهم لأغراض شخصية.

* لا بد من تقنين التعاون بين جهاز الأمن وأجهزة الأمن الصديقة، وتقنين الموارد المادية، وغيرها من المساعدات التي قد تردُ إلى الأجهزة من الخارج.

* يُنصح بوضع مشروعات أمن مُعدة سلفاً للتعامل مع حالات الطوارئ، وأن يكون مصدقاً عليها من السلطات العليا، على أن تُفصل فيها واجبات كل جهة. ومن هذه المشاريع، مثلاً (مشروع أمن العاصمة والأقاليم، وأمن الشخصيات المهمة، والمؤتمرات العامة والاحتفالات).

* غالباً ما تتحول القضايا المهملة إلى قضايا أمنية، مثل: الأزمات التموينية، عدم توفر الوقود.. الأسعار.. الضرائب.. المرتبات، وهنا لا بد من منح المجلس المختص بالأمن السلطة في تنبيه الجهاز التنفيذي لمثل هذه القضايا، كما لا بد من منحه سلطة عقد اجتماعات مشتركة، والاتفاق على أسلوب تنفيذ ذلك.

* لتأكيد مبدأ «الأمن مسؤولية الجميع وليس مسؤولية تخصصية منوطة بأجهزة الأمن» يُستحسن أن يكون أمن الوزارات الحكومية والمصالح مسؤولية وزارية ومصلحية، وان يعاون الجهاز في التدريب والإرشاد والعمليات الكبرى.

ثالثاً: العدالة الاجتماعية:

من أهم الأسباب التي تحقق الأمن القومي، عنصر العدالة الاجتماعية، وقد عرف هذه الحقيقة معظم الحكام، ولكن غابت عن كثير منهم طرق تحقيقها. ففي عهد الأكاسرة نقش حاكمهم «أنو شروان» على خاتمه: «لا يكون العمران حيث يُوجد السلطان»، ولكن الأكاسرة جاروا فبادوا، حتى قال عنهم الشاعر:

أين الأكاسرة الجبابرة الألى *** كنزوا الكنوز فما بقين وما بقوا

من كل من ضاق الفضاء بجيشه *** حتى ثوى فحواه لحد ضيق

ولقد عرف قيمة العدالة في إرساء الملك الأحباش. فمن مآثر ما قال مليكهم "النجاشي": «الملك يبقى على الكفر.. ولا يبقى على الظلم».

ولقد سعى ماركس ورفيقه انجلز في منشوراتهما الشيوعية إلى ترسيخ إدارة واستثمار الأموال العامة، ثم توزيعها، بأكبر قدر من التساوي، وفق شعارهم «لكلٍ حسب حاجته وعلى كلٍ حسب طاقته»، وانتهت الشيوعية إلى ما يعرفه الجميع اليوم، وما ذاك إلا لخلل كامن بين النظرية والتطبيق.

أما النظرة الغربية الحديثة فترى في العدالة الاجتماعية أساس تحقيق الأمن، ولكننا نلاحظ ضيق هذه النظرية وتناقضها عند التطبيق. فالغربيون يرون أن الهدف القومي الأعلى لدولتهم هو تحقيق الرفاهية، ولكنهم يقصدون الرفاهية لشعوبهم دون الشعوب الأخرى، بل يسعون إلى تحقيقها حتى ولو على حساب الآخرين، ونجد منهم من يعرف وسائل تحقيق الأمن «بقوة الردع»، ويحق للمرء أن يتشكك في جدوى هذا المفهوم، فالعالم كله شهد اليابان وألمانيا وقد هُزمتا وباد أمنهما وهما في أوج العظمة الحربية، ثم انتعشتا ثانية، وهما مجردتان من قوة الردع، وقد رأينا أن الاتحاد السوفيتي تفكك واضمحل وهو عملاق لا يُداني في قوة الردع.

أما الشريعة الإسلامية ـ بخصائصها الشمولية ـ فتؤكد أن للعدل شأناً عظيماً في تحقيق الأمن وثباته: ﴿الذينَ آمنُوا ولَم يلبسُوا إيمانهم بظلم أولئكَ لهمُ الأمن وهُم مهتدونَ﴾[18]. ومثلما ينهي الله عن الظلم فانه يأمر بالعدل: ﴿إنَّ اللهَ يأمرُ بالعدلِ والإحسان﴾[19]. ويسعى الإسلام إلى تجذير ضرورة العدالة، دون تحيز أو محاباة، ونجد ذلك في القول الكريم: ﴿يا أيهَا الذينَ آمنُوا كونُوا قوامينَ للّه شهداءَ بالقسطِ ولا يجرمنكُم شنآنُ قوم على ألاَّ تعدلُوا اعدلُوا هُوَ أقربُ للتقوَى واتقُوا اللهَ إنَّ اللهَ خبيرٌ بمَا تعملونَ﴾[20]. وكذلك في قوله تعالى: ﴿وأوفُوا الكيلَ والميزانَ بالقسطِ لا نكلفُ نفساً إلاَّ وسعهَا وإذَا قلتُم فاعدلُوا ولَو كانَ ذا قربَى﴾[21]. وفي القول الكريم: ﴿إنَّ اللهَ يأمركُم أن تؤدُّوا الأمانَاتِ إلى أهلهَا وإذَا حكمتُم بينَ الناسِ أن تحكمُوا بالعدل﴾[22]. أو قوله تعالى: ﴿وممَّن خلقنَا امةٌ يهدونَ بالحقِ وبهِ يعدلُون﴾[23].

ولقد طالما أرسى الرسول الكريم قيمة العدل في الحكم وشدد على ضرورة التمسك بها، فهو هنا يقول لرجل ارتعد أمامه: «هوّن عليك، فإني لست ملكاً إنَّما أنا ابن امرأة تأكل القديد». وقد أغلظ رجل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ذات يوم، قائلاً: أعدل يا محمد فإن المال ليس مالك ولا مال أبيك، فَهَمَّ ـ رضي الله عنه ـ عمر أن يؤدبه بسيفه، فنهاه النبي قائلاً: «اتركه يا عمر فان لصاحب الحق مقالاً»، ولم يكن ـ في واقع الأمر ـ لذلك الرجل حق، ولكن الرسول العادل أراد أن يعلم الناس قيمة العدل.

ثم جاء الخلفاء الراشدون: يقول أبو بكر الصديق في أول خطبة له بعد الخلافة: (أيها الناس إني قد وليتُ عليكم ولستُ بخيركم)، أما عمر بن الخطاب فقد عرف «إن العدل أساس الحكم» وان الحاكم العادل ينام ملء جفونه، لذا فقد اعتاد أن ينام تحت ظل شجرة، حتى قال فيه فارسي، هو الهرمزان: «حكمت فعدلت فنمت يا عمر» ليصوغ حافظ إبراهيم هذا المعنى الجليل شعراً في قصيدته العُمريَّة الشهيرة:

وقال قولةَ حقٍّ أصبحت مثلاً *** وأصبح الجيلُ بعد الجيلِ يرويها

أمنتَ لما أقمت العدلَ بينهمو *** فنمتَ نومَ قريرِ العيـن هانيهـا

وأن العدل ليتحقق في المجتمع الإسلامي عبر أدوار اجتماعية شاملة، أهمُّها:

توزيعُ الثروة:

فالرفاهية التي تنشدها المدنيات الغربية الحديثة، والترف والثراء المثيرين لنوازع البغضاء، كلها ظواهر تناقض فكرة العدالة الاجتماعية. وقد عالج الإسلام هذه الظواهر من منطلق نظرته إليها باعتبارها أمراضاً فتاكةً في المجتمع: ﴿وإذَا أردنَا أن نهلكَ قريةً أمرنَا مترفيهَا ففسقُوا فيهَا فحقَّ عليهَا القولُ فدمرناهَا تدميراً﴾[24]. والثراء الفاحش الذي لا يؤدي فيه حقُّ الله مدعاة للطغيان والظلم: ﴿كلاَّ إنَّ الإنسان ليطغَى. أن رآهُ استغنَى﴾[25].

*** مكافحة الجوع والفقر:**

يدعو الإسلام إلى إطعام الفقراء والمساكين وتلبية حاجاتهم الأساسية، لهذا شرع فريضة الزكاة، وحث على الصدقات والإنفاق، والتكافل الاجتماعي، وغير ذلك من العطاء الذي يمارسه المسلم إزاء الفقراء والمساكين بما يحقق التوازن الاجتماعي والترابط، ويرسخ العدالة بين أفراد المجتمع.

ويؤكد القرآن الكريم إنَّ ما يُعطاه الفقير والمسكين ليس منةً ولا تبرُّعاً، لكنه حق من حقوقه: ﴿وآتِ ذَا القربَى حقهُ والمسكينَ وابنَ السبِيل﴾[26]. وكذا في قول الله: ﴿وفِي أموالهم حقٌّ للسائلِ والمحرومِ﴾[27].

*** نصرة المظلوم:**

يأمر الإسلام المسلمين بأن يهبُّوا مجاهدين لنصرة المظلومين والمستضعفين وفك أسرهم من ظالميهم، فيقول الله تعالى: ﴿ومَا لكُم لا تقاتلونَ في سبيلِ اللَّه والمستضعفينَ منَ الرجالِ والنساءِ والولدانِ الذينَ يقولونَ ربنَا أخرجنَا مِن هذهِ القريةِ الظالِم أهلهَا واجعل لنَا مِن لدنكَ وليّاً واجعَل لنَا مِن لدنكَ نصيراً﴾[28]. والظالم إذا لم يُردع فسوف يمتدُّ خطره من شخص إلى آخر ومن جماعة إلى جماعة، ومن دولة إلى أخرى. وترك الظالم دون معاقبة ظلم في حد ذاته، لأنه ـ فوق أن ذلك يغريه بتكرار ظلمه ـ يحرِّك الغبن والحقد في نفوس من اعتدى عليهم، فينتفي نتيجة لذلك الأمن، ويعمُّ الاضطراب والخوف بين الأفراد والمجتمعات.

*** التعاون ونبذ الفرقة:**

إن من أسباب انفراط عقد الأمن، الصراعات العرقية والطبقية، والتمايز بين المجتمعات والدول. وقد حث الإسلام على الوحدة والتماسك والتعاون على البر، ونهى عن التعاون على العدوان، وحث على التعارف بين الشُّعوب: ﴿يَا أيهَا الناسُ إنَّا خلقناكُم مِن ذكر وأنثَى وجعلناكُم شعوباً وقبائِلَ لتعارفُوا إنَّ أكرمكُم عندَ اللهِ اتقاكُم إنَّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ﴾[29].

والمجتمع المؤمن لا يمس ولا يكدر أمن وطمأنينة المجتمعات الأخرى، لأن قيمة التفاضل في المجتمع المؤمن ليست بالكسب المادي أو اللون أو العرق أو التراث، بل هو مجتمع معصوم عن هذه الأهواء، ومأمورٌ بمراعاة تعاليم الدين: ﴿واعتصمُوا بحبلِ اللهِ جميعاً ولا تفرقُوا واذكرُوا نعمتَ اللهِ عليكُم إذ كنتُم أعداء فألَّفَ بينَ قلوبكُم فأصبحتُم بنعمتهِ إخواناً وكنتُم علَى شفَا حفرة منَ النارِ فأنقذكُم منهَا كذلكَ يبينُ اللهُ لكُم آياتهِ لعلكُم تهتدونَ﴾[30].

ولقد كان مجتمع المدينة مركباً من المهاجرين والأنصار، ومن الميسورين والمعسرين، فآخى الرسول بينهم، فصاروا جماعةً متضامنةً بما لم تشهد له البشرية مثيلاً.

والشرع الإسلاميُّ ينهى عن كل ما يروع الفرد والجماعة في المجتمع، ويضع ضوابط لضمان وحدة المجتمع، منها: تهذيب أخلاق الفرد، وقيام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿إنَّ اللهَ يأمرُ بالعدلِ والإحسان وإيتاءِ ذي

القربَى وينهَى عنِ الفحشاءِ والمنكرِ والبغي يعظكُم لعلكُم تذكرُونَ﴾[31]. وفي كتاب الله الكريم منه متكامل يوضح العناصر الأساسية لسلامة المجتمع وتجانسه: ﴿إنمَا المؤمنونَ إخوةٌ فأصلحُوا بينَ أخويكُم واتقُوا اللهَ لعلكُم ترحمونَ. يا أيهَا الذينَ آمنُوا لا يسخَر قومٌ من قوم عسَى أن يكونُوا خيراً منهُم ولا نساءٌ من نساء عسى أن يكنَّ خيراً منهنَّ ولا تلمزُوا أنفسكم ولا تنابزُوا بالألقاب بئسَ الاسمُ الفسوقُ بعدَ الإيمان ومَن لَّم يتُب فأولئكَ همُ الظالمونَ. يا أيهَا الذينَ آمنُوا اجتنبُوا كثيراً منَ الظنِ إنَّ بعضَ الظنِ إثمٌ ولا تجسسُوا ولا يغتَب بعضكُم بعضاً أيحبُّ أحدكم أن يأكلَ لحمَ أخيهِ ميتاً فكرهتموهُ واتقُوا اللهَ إنَّ اللهَ توابٌ رحيمٌ﴾[32].

*** مراعاة حقوق الأقليات:**

تصبح الأقليات:

تصبح الأقليات المظلومة في المجتمع ثغرةً أمنيّة فيه، بما تختزنه من دوافع حقدها عليه، فتعمل على تخريبه من داخله، وتؤلّب عليه آخرين من خارجه. وقد حرص الإسلام على رعاية المستوطنين من الأقليات بحفظ أمنهم وحرّيتهم في عقيدتهم وعبادتهم وثقافتهم وحرماتهم في النفّس والمال، وبيّن خصوصيتهم في الأوضاع الاجتماعيّة والمساواة في الحقوق والواجبات ونص على ذلك شرعاً، ما لم يخرجوا على المجتمع، ولم يهددّوا مصالحه وأمنه. ويحرص الإسلام على البرّ بغير المسلمين، والعدل في معاملتهم، يقول تعالى: ﴿لا ينهاكمُ اللهُ عن الذّينَ لم يقاتلُوكم في الدّينِ ولم يخرجوكُم من دياركُم أن تبروهُم وتقسطُوا إليهم إن الله يحبُ المقسطين. إنما ينهاكمُ اللهُ عن الّذينَ قاتلوكُم في الدّين وأخرجوكُم من دياركُم وظاهرُوا على إخراجكم أن تولوهُم ومن يتولهُم فأولئِك همُ الظّالمون﴾[33].

ويرفض الإسلام إكراه النّاس على اعتناقه: ﴿لا إكراه في الدينِ قَد تبينَ الرشدُ من الغَي﴾[34]. وقيل إنّ هذه الآية نزلت في رجل من الأنصار كان له ابنان تنصرّا على أيدي نجار من الشّام، وكان أبوهما مسلماً، فأراد أن يستكرههما على ترك النّصرانية والدّخول في الإسلام فنزل الوحي بالنهي عن ذلك. و يقول تبارك وتعالى: ﴿قُل يا أهلَ الكتابِ تعالَوا إلى كلمة سوء بيننا وبينكُم ألا نعبُد إلا اللهَ ولا نُشرك به شيئاً ولا يتخذَ بعضُنا بعضاً أرباباً مِن دونِ اللهِ فان تولّوا فقولُوا اشهدُوا بأنا مسلمونَ﴾[35].

وقد بّين الإسلام العلاقات مع الذمّيين، وحرّم الاعتداء على أنفسهم، ففي الحديث: «من قتلَ نفساً مُعاهداً لم يُرح رائحة الجنّةِ، وان ريحها يوجدُ من مسيرة أربعين عاماً». كما لا يجوز الاعتداء على أموال المعاهدين، وأغراضهم، بل اشترط في أمر الدّعوة إلى الإسلام المجادلة بالحسنى، دونما عنف: ﴿ادعُ إلى سبيلِ ربكَ بالحكمةِ والموعِظة الحسنةَ وجادلهُم بالّتي هي أحسنُ﴾[36]. ويقول تعالى: ﴿ولا تُجادلوا أهلَ الكتابِ إلا بالّتي هي أحسنُ﴾[37].

*** التحررُ من الخوف:**

الخوف الذي نتحدّث عنه هنا هو الذي ينجم عن خشية الإنسان من نقص في الأموال والأنفس، ومن الرؤساء والأعداء، ومن المجهول. وقد أوجد الإسلام نهجاً قويماً للطمأنة من مثل هذا الخوف، إذ مضى يعمّق إحساس الإنسان بالثّقة، وإلا يخشى النّاس، مهما كانت مناصبهم وسطوتهم. ويحذّر الإسلام من النّفاق والرّياء، فيقول الحديث الشّريف: «من أحبّ أن يكون أقوى النّاس فليتوكّل على الله». ويقول تعالى: ﴿فلا تخشوّا النّاس واخشونِ ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لّم يحكم بِما أ نزلَ اللهُ فأولئكِ همُ الكافرُونَ﴾[38].

*** الحرية:**

تعدُ الحرّية من أهم العوامل التي تحقّق الأمن القوميُ، وقد أقرّ الإسلام مبدأ الحرية- بل أوجبها وحضّ عليها- فالأصل في التّشريع الإسلاميّ هو حرّية الإنسان، ما لم تتضمّن عدواناً أو انتهاكاً لحرمات الآخرين ومصالحهم. فقد اقرّ الإسلام حرية العقيدة بأن: ﴿لا إكراه فِي الدينِ قَد تبيّن الرّشدُ مِن الغَي﴾[39]. وبذا لا يحقُّ لأحد أن يُكره غيره على اعتناق فكرة أو عقيدة، ﴿أفأنتَ تكرهُ الناسَ حتّى يكونُوا مؤمنِينَ﴾[40]، وأقر الإسلام حرية الفكر، بل أن القرآن ليطالب بالتفكر، وأصالة الرأي، ويحذر من الإتباع الأعمى، ويحضُ على الإبداع العلمي والاجتهاد في كل مجال من مجالات الفكر، فالمجتهد له أجرٌ إن أخطأ وأجران إن أصاب.

ولقد رسخ الإسلام الحرية السياسية، ومنح المواطن الحق في محاسبة المسؤول ومراقبته. فحين اعتلى خليفة المسلمين عمر المنبر وابتدر الناس قائلاً: «اسمعوا وأطيعوا» تصدى له أحدهم قائلاً: «لا سمعَ ولا طاعة»،

مسائلاً ابن الخطاب على ثوبه الطويل: من أين أتى به؟. فأخبره عمر بأن ابنه عبد الله تبرع له بجزء من ثمنه به، فينجلي الموقف عن عدل ولا يجاري. وفي موفق آخر يقول أمير المؤمنين للرعية: (إن رأيتم في اعوجاجاً فقوموني)، فتصدى له من يحدثه بأنهم إن رأوا اعوجاجاً فسوف يقومونه بحد السيف، وهنا يحمد الله أميرُ المؤمنين: «أن جعلَ في أمة محمد من يقومه بالسيف».

*** القدوة الحَسنة:**

تحدثنا عن العدالة الاجتماعية، كركيزة هامة من ركائز تحقيق الأمن القومي. والقدوة الحسنة تجسد ركيزة أخرى لا تقل أهمية عن العدالة الاجتماعية. فالحكام يلزمهم أن يتحلّوا بهذه الفضيلة إذا أرادوا تحقيق الأمن لمجتمعاتهم ومؤسساتهم. وللمسلمين قدوةٌ كاملةٌ في الرسول ρ: ﴿لقَد كانَ لكُم فِي رسول اللهِ أسوةٌ حسنةٌ لمن كانَ يرجو اللهَ واليومَ الآخر﴾[41]. وقد «كان خلقه القرآن» كما حدثت زوجه عائشة رضي الله عنها. وقد وصفه سبحانه وتعالى فقال: ﴿وانّك لعلى خلُق عظيم﴾[42]، وقال: ﴿لقَد جَاءكم رسُول من أنفُسكم عزيزٌ عليهِ ما عنتُم حريصٌ عليكُم بالمؤمنِينَ رءوفٌ رحيمٌ﴾[43]. ولقبته قريش «بالأمين» يوم كان عدوّها.

والناس عندمنا يلمسون في قيادتهم القدوة الحسنة، فانهم يُضحون بكلِّ نفيس في سبيل نصرة تلك القيادة، ويصبرون على كيد الأعداء، وكذب شائعاتهم ودعاياتهم، ولا يتآمرون على الدولة ولا يسكتون عن متآمر، ويجدون في حماية بلادهم وقادتهم بشتى السبل.

صفات رجل الأمن:

اعتاد الناس التوجس خيفةً من أجهزة الأمن والمخابرات، لأن الإنسان بطبعه تواقٌ للحرية، نزّاعٌ إلى الطلاقة، يحاذر حتى من رجل الشرطة الذي يرتدي الزي الرسمي، لأن لديه من السلطات التنفيذية ما يمكنه من تقييد حرية الآخرين، لذا فعندما يكون الأمر متعلقاً بشخص له ذات سلطات الشرطة ولكنه في زي مدني يتضاعف التوجس والخوف منه، لما سمعه الناس وألفوه من الشائعات والحقائق عن بعض أفراد أجهزة الأمن المخابراتية، أولئك الذين يسيؤون استخدام ما اؤتمنوا عليه.

ولما كانت حاجة أجهزة الأمن لأفراد المجتمع حاجة أساسية، فان جميع أجهزة الأمن تسعى لكسب ثقة الجمهور ليكون عوناً لها في تحمل المسؤولية الجسمية التي تتطلب أولى القوة ممن يتصفون بصفات رفيعة، نذكر منها:

التدين والخُلق: بادي ذي بدء، يجدر الاختيار من العناصر ذات الدين والخلق، التي تخشى مراقبة الله قبل أن تُعني بمراقبة الناس، ولا يكفي أن يكون رجل الأمن ذا دين فحسب، فيكلف من ذوى الدين من لا يصلح لمثل هذا العمل: لضعف أو غفلة أو تهاون، بل من الواجب إجراء تحر واسع ودقيق في الاختيار، وبفراسة لا تخطئ، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن أفرس الناس ثلاثةٌ: أبو بكر حين تفرس في عمر، وصاحب يوسف قال: ﴿أكرمي مثواهُ﴾[44]، وصاحبة موسى قالت: ﴿يا أبتِ استأجِرهُ إن خيرَ من استأجرتَ القويُ الأمين﴾[45]. كذلك يجب البحث عمن يجمعون بين تخصصهم الأساسي واحتياجات أجهزة الأمن، فالكاتب الموهوب، مثلاً، يصلح في مهمة التحليل والتقديم وصياغة التقارير بتعبير واضح ومختصر ومشوق، وهذا من صميم ما تحتاجه الأجهزة الأمنية، كما أن مهام الأمن تستدعي اختيار ذوى التخصصات الفنية، مثل: المتخصصين في الكيمياء والفيزياء.

الطاعة والتقيد بالأوامر: يتطلب عمل الأمن سرعة التنفيذ، والسرية، والحذر، لذلك تصبح صفة الطاعة ضرورية، ما لم يؤمر الفرد بمعصية، فإذا أمر بمعصية «فلا سمعَ ولا طاعة»، كما جاء في الحديث وقال تعالى: ﴿يا أيهَا الّذين آمنوا أطيعُوا اللهَ وأطيعُوا الرسُولَ وأولى الأمرِ منكُم فان تنازعتُم في شيء فردوهُ إلى اللهِ والرسولِ إن كنتُم تؤمنونَ باللهِ واليومِ الآخر ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلاً﴾[46]، وعلى العاملين أن يثقوا بقادتهم ويحسنوا الظن بهم: ﴿من يشفَع شفاعة حسنةً يكُن لهُ نصيبٌ منهَا ومن يشفع شفاعةً سيئةً يكُن لهُ كفلٌ مّنها وكانَ اللهُ على كُلِ شيء مقيتاً﴾[47].

<u>حب العمل والتحلي بروح المسؤولية:</u> تقتضي خطورة عمل الأمن والمخابرات التحلي بروح المسؤولية وحب العمل، إذا أن أخطاء الإهمال في مثل هذا المجال تلحق أضراراً كبيرةً بمصالح البلاد والعباد، لذا كان لزاماً على رجل الأمن ألا ينتظر من يحثُه على البذل بل أن عليه أن ينزع إليه بحافز داخلي، يرجو به مرضاة الله.

<u>الخبرة والمهارة والإتقان:</u> إن العمل في أجهزة الأمن والمخابرات عملٌ فنيٌ يتطلب مهارةً عاليةً وكفاية فنية متخصصةً وإتقان في الأداء. فهذه الأجهزة تتعامل مع عدو ماكر وماهر، مزدود من أدوات التقانة بما يمكنه من كشف الأسرار، وتجاوز الأستار: باستشعار من البعد، وتسجيل وتصوير سريين، وتزوير للوثائق مريع، لذا يلزم المتصدي لمثل هذا العدو أن يكون خبيراً ماهراً متقناً لعمله، ففي الحديث النبوي: «إن الله يحبُ إذا عمل أحدكم

عملاً أن يتقنه»، ويقول تعالى: ﴿وقُل اعملُوا فسيرى اللهُ عملكُم ورسولهُ والمؤمنونَ وستردونَ إلى عالمِ الغيبِ والشهادة فينبئكُم بما كنتُم تعملُونَ﴾(48). والمسلم مأمورٌ بأحكام صنعته: ﴿أنِ اعمَل سابغات وقدِّر فِي السَّرد واعملُوا صالحاً إنّي بما تعملُون بصيرٌ﴾(49). ويقول المفسرون هنا: إن قدر في السرد تعني: «أحكم صنعتَك»، وصنعة ضابط الأمن والمخابرات تتطلب الصبر والأناة: ﴿يا أيها الّذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقُّوا اللهَ لعلكُم تُفلحونَ﴾(50). كما أن على رجل الأمن تعلُّم المهارات، مثل الرماية، وكذا الحرف المتعلقة بتخصصه، مثل: التصوير وقراءة الصور الجوية، وتحليل وتقويم المعلومات، والشفرة، والمراقبة، وغيرها من علوم الأمن والمخابرات. وتعلم اللغات الأجنبية من الضرورات لرجل الأمن، لأنها تمكنه من التعلم والاستماع والاتصال بالآخرين، كما تمكنه من الإطلاع على الوثائق الخطيرة دون الاستعانة بمترجمين. وتعلم اللغات الأجنبية من سنن الإسلام التي حض عليها- خاصة لغة العدو- فلقد أمر ρ كاتبه زيد بن ثابت بإجادة السريانية، قال زيد: «أمرني رسولُ الله ρ فتعلمتُ له كتاب يهودي بالسريانية. وقال: إني والله ما آمنُ يهوداً على كتابي».

الأمانة:

رجل الأمن مسؤولٌ عن صَوْنِ حقوق الناس وأمنهم، وحراسة الأعمال المعلومات والمنشآت من الإهمال والتفريط، وهو، لذلك، مزود بإمكانات لا تتوفر للمواطن العادي، من سلاح ومعدات وسلطات. ويجب ألا تُفْتِنَ رجل الأمن هذه الامكانات والسلطات، وإلا تحمله على ابتزاز الناس والاستهتار بهم، بل يجب عليه أن يكون أميناً يشعر بتبعة كل أمر يوكل إليه، وأنه مسؤول عنه أمام ربه، يقول ρ: «كلكم راع وكلكم مسؤولُ عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤولٌ عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤولٌ عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعيةٌ وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤولٌ عن رعيته».

وكان رسول الله ρ قبل البعثة يلقب بين قومه بالأمين، وهو القائل: «من وُليَ من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً محاباةً فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يُدخله جهنم». وقال عليه السلام: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول» أي: أنه اختلاس من المال العام، يقول تعالى: ﴿ومَن يغلُل يأتِ بما غلّ يوم القيامة ثُم توفَّى كُلُّ نفسٍ ما كسبت وهُم لا يُظلمونَ﴾(51). ويحذر الحق تعالى: ﴿يا أيُها الذين آمنوا لا تخونُوا اللهَ والرسولَ وتخونُوا أماناتكُم وأنتُم تعلمُون. واعلمُوا أنّما أموالكُم وأولادكُم فتنةٌ وأن الله عندهُ أجرٌ عظيمٌ﴾(52).

وصدق رجل الأمن فيما يتحرى وما يقول وما يكتب من تقارير، يؤدي إلى الصدق في القرارات والأعمال التي تقوم بها الدولة، وفي ذلك، بالضرورة، إصلاح الأحوال. يقول الله عز وجل: ﴿يا أيُها الّذين آمنوا اتّقوا الله وقولُوا قولاً سديداً. يُصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكُم ومن يُطع اللهَ ورسولهُ فقد فاز فوزاً عظيماً﴾(53). وقد بعث الخليفة عمر بن الخطاب رسالةً إلى سعد بن أبي وقاص يوصية فيها بتحري صفة الصدق فيمن يرسل من العيون، يقول: «إذا وطئت أرض عدوك فازك العيونَ بينكَ وبينهم، وليكُن عندكَ من العربِ أو مِن أهلِ الأرض من تطمئنُ إلى نصيحته وصدقه، فان الكذوب لا ينفعك خبره، وإن صدقك في بعضه، والفاشي عينٌ عليكَ وليس عيناً لك».

وفى شعر التراث العربي الإسلامي:

واجعل من الطلاع أهلَ شهامة   للصدق فيهم شيمةٌ لا تخدعُ

لا تسمعِ الكذاب جاءكَ مُرجفاً لا رأيَ للكذاب فيما ينصعُ

الاعتدال في الأمور:

تسعى مخابرات العدو إلى تجنيد أعضاء أجهزة الأمن والمخابرات الأخرى عملاء لها. ويعتمد الأعداء في ذلك على نقاط الضعف التي يكتشفونها في من ينوون تجنيده ـ وهي كثيرةٌ ـ ومن نقاط الضعف المشهورة في عالم المخابرات صفتا التطرف والهوس ـ حتى في ممارسة الهوايات ـ وحب الظهور والشذوذ، بشتى ألوانه، والتعلق بمظاهر الأشياء، وحب المال والجاه. وان الدين ليوصي بنقيض ذلك كله، إذ يثني الله تعالى على أولئك المتصفين بالتوسط في تعاملهم مع الأشياء، فيقول: ﴿والذينَ إذا أنفقُوا لَم يُسرفوا ولَم يقتروا وكانَ بين ذلِك قواماً﴾(54).

الكتمان وحفظ الأسرار:

أن الكتمان من أساسيات العمل الإستخباري، إذ يترتب على إفشاء المعلومات السرية وتسريبها مخاطر جمةٌ قد

تفضي إلى انهيار الدولة. وتشديداً على قيمة الاعتداد بالسرية في أداء المهام، يقول ρ: «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان». وقد عُرف عنه ρ توخى الكتمان والسرية في حروبه وغزواته جميعا. فعندما دنا من موقع بدر ـ الغزوة ـ أمر أصحابه أن يقطعوا الأجراس التي كانت معلقةً على أعناق إبلهم لئلاً يسمع العدوُّ أصواتها. ورُوى عنه ρ انه بعث عبد الله بن جحش في السنة الثانية للهجرة في اثني عشر رجلاً من المهاجرين، وزودَّه بكتاب مختوم أمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين كاملين، يبلغ بعدهما موقعاً معلوماً حدده له. فإذا كان هذا نمط التعامل النبوي مع الصحابة الأجلاء ـ وكلُّهم مؤتمن ـ فكيف بسواهم ممن لم تمحصهم تجارب كتجارب أولئك؟!

الإحساس بقيمة الزمن:

إن من أهم أعمال الأمن، جمع المعلومات، وتصنيفها، وتحليلها، وإيصالها للمسؤول المناسب، ليتخذ القرار في الوقت المناسب. فالمعلومات التي تصل قبل الحدث بكثير ـ أو بعده ـ تمسي قليلة النفع. والوقت المفقود يستحيل إرجاعه، فالأحداث في عالم الأمن متلاحقة، وعلى رجال الأمن أن يكونوا ذوي إحساس قوي بالوقت، لئلا تفاجئهم الوقائع، وكما قيل: «الوقتُ كالسيف أن لم تقطعه قطعك».

الصدِّق:

الصدق في القول والعمل، لازمٌ لنجاح العمل الإستخباري، لكيلا تُبنى الإجراءات والخطط على أكاذيب وأوهام. ومن هنا تنهض ضرورة الاستمساك بالصدق في كلِّ معلومة وكل قضية، ولا يكون ذلك إلا بالتحري والتمحيص والمقارنة، لإبعاد الظنون ونبذ الشائعات، وتثبيت الحقائق، ليشمخ عليها القرار السليم. قال ρ: «إياكم والظنَّ فإن الظنَّ أكذبُ الحديث». وقال: «دع ما يريبك إلى ما لا يُريبك، فان الصدق طمأنينةٌ والكذب ريبة». وقد عاب القرآن الجري وراء الظنون: ﴿إن يتبعُون إلا الظنَّ وما تهوى الأنفس ولقَد جاءهُم مِن ربهِم الهدَى﴾[55]، وقد حذر القرآن من اتخاذ الإجراءات بناءً على أقوال الفاسقين: ﴿يَا أيهَا الذينَ آمنُوا إن جاءكُم فاسقٌ بنبأ فتبينُوا أن تُصيبُوا قوماً بجهالة فتصبحُوا علَى ما فعلتُم نادمينَ﴾[56].

الفصل الثالث

أمن الأفراد

يُقصد بأمن الأفراد، كلّ الإجراءات التي تُتَّخذ لحماية الأفراد من محاولات العدو الحصول على المعلومات منهم، أو تجنيدهم، أو استلاب ولائهم، أو اختطافهم أو قتلهم، فالفرد هو أساس الأمن.

وفي العمل الإستخباري الايجابي المعادي، يسعى العدو للحصول على المعلومات: بالملاحظة والمتابعة والتجسُّس، كما يقوم بأعمال التخريب، والأعمال السياسية والمظاهرات والدعاية والشائعات، والأفراد ـ عند كل ذلك ـ هم هدف العدو وأداته في آن واحد.

ودور الفرد أساسيّ وحاسمُ في العمل الإستخباري الوقائي، لحماية أسرار الدولة من نشاط الجواسيس، ومن التخريب المادي والمعنوي، كما أنه ضروري في مكافحة كل الأنشطة الهدامة التي تقوم بها المخابرات الأجنبية، ومن هنا كان سعى العدو نحو الأفراد ـ ومن هنا أيضاً ـ تثب ضرورة تأمين الفرد وتوعيته أمنياً، ليكون فاعلاً في حالتي الأمن الوقائي والايجابي. ونعني بالفرد هنا: كل من يعمل في مجال الأمن، لأنه مستهدفٌ استهدافاً أساسياً من قبل العدو.

إجراءات أمن الأفراد:

مرحلة ما قبل الاستيعاب:

تبدأ إجراءات أمن الأفراد بمرحلة ما قبل الاستيعاب، إذ يغدو من الأهمية بمكان البدء بعملية تحرٍ وافٍ تُعرّف بشخصية الأفراد المرشحين للعمل في الوظائف الحساسة، شاملةً أكبر قدر من المعلومات عن تاريخ حياتهم، لاستبعاد غير الموالين ممن يدينون بالولاء لجهة أجنبية، أو يعتنقون أفكاراً غريبةً عن مجتمعاتهم، واستبعاد الأفراد غير المؤتمنين ـ لسبب أو لآخر ـ ثم تأتي بعد التحري مرحلة اختيار الأفراد بالفحص الطبي والنفسي للتأكد من لياقتهم البدنية والنفسية، نظراً للمشاق الجسيمة التي سيتعرضون ـ حتماً ـ لها.

أما مرحلة ما بعد الاستيعاب فإنها تتضمن خطوات متعددة، تشمل:

(أ) التلقين:

وهو يحوي:

* القوانين واللوائح والتعليمات التي تحدد المسؤوليات والعقوبات.

* شرح طبيعة الأسرار الموجودة في مكان العمل.

* شرح المشاكل الأمنية التي تواجه الأفراد، وكيفية التصرُّف حيالها، مثل: الشائعات، كيف يتعامل ازاءها ويمنع ترويجها، ويبلغ عنها. هذا بجانب التمكن من معرفة طرق التصرف حيال النشرات المعادية، والاتصال بالأجانب، وطرق التعامل تجاه ما يعكر صفو الأمن.

(ب) التدريب:

وهو يشمل:

* التدريب العسكري.

* التدريب الأمني.

* التوعية الأمنية المستمرة عن طريق:

نشرات الأمن: وهي تصدر من وقت لآخر لسد الثغرات الآنية، والتنبيه للمخاطر.

ملصقات الأمن: وهي شعاراتٌ أمنيةٌ للتذكير الدائم بمبادئ الأمن.

التنوير الأمني: وهو يهدف إلى تثقيف الأفراد أمنياً وسياسياً، عبر دورات ومحاضرات عن الأحداث الجارية وقضايا الساعة.

(ج) الرقابة:

وتتمثل في:

* التفتيش المفاجئ للتأكُّد من الحضور والأداء الفاعل، وتنفيذ تعليمات الأمن، قال تعالى: ﴿وتفقدَ الطيرَ فقالَ مَا ليَ لا أرَى الهُدهُدَ أم كانَ مِنَ الغائبِين﴾[57].

* اختيار الأفراد لمعرفة إلمامهم بأحداث تعليمات الأمن.

* مراجعة تصاريح المرور.

* تفقُّد الأفراد، وحلُّ مشاكلهم أولاً بأول.

(هـ) التحفيز والجزاءات:

يجب الاهتمام بتحفيز من يحسنون أداء واجباتهم من الأفراد، وإيقاع الجزاء على المقصرين منهم، فالترغيب والترهيب، كلاهما، يحسن الأداء ويطوره.

وقد اشتمل الدين الإسلامي بمصدريه الأساسيين ـ القرآن والسنة ـ على منهج رفيع في الدعوة يوازن بين عنصري الترغيب والترهيب، ليجعل من المسلم كائناً شفافاً يتقلب بين حالتي الخوف والرجاء، وحرى بالمسلمين أن يعتبروا بهذا المنهج في حياتهم العملية.

وعند إيقاع الجزاءات ينبغي أن يكون الجزاء مناسباً للجرم المرتكب، ليبلغ مرحلة إبعاد كل من يثبت أنه خطيرٌ على الأمن.

نماذج من السنة في أمن الأفراد

* مبيتُ عليٍّ بن أبي طالب في فراش النبيّ: وكان ذلك في ليلة خروج النبي ρ من مكة والكفار يتربصونه لقتله، فسأله النبيُّ الكريم أن ينام على فراشه ويتغطى ببردته.

* الخروج في النهار وقت الحر: قالت عائشة: (كان لا يخطئ رسول الله أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرةً وإما عشيةً). واختيار النهار في مكة ذات الحر الشديد نهارا كان ادعى للسرية واضمن أن يُخفى عن العيون.

* اللجوء إلى غار ثور: فقد لجأ الرسول ρ ورفيقه أبو بكر إلى غار ثور في جنوبي مكة، وهو اتجاه معاكسٌ لطريق المدينة، إمعاناً في تضليل قريش، وقد حقق غار ثور لهما موقعاً آمنا من حيث وعورة المكان، وسهولة الاختفاء بعيداً عن احتمالات الرصد لأن الكافرين توجهت توقعاتهم صوب الطريق المؤدي إلى المدينة.

* وفي هجرة المسلمين إلى الحبشة والمدينة، عظاتٌ وعبر باهراتٌ من حيث أمن الأفراد الجماعي. فعندما اشتد البلاء والتعذيب بالمسلمين من قبل قريش، أذن لهم الرسول بالهجرة بحثاً عن مكان آمن غير مكة، فكان الخيار أرض الحبشة. ثم جاءت الهجرة إلى يثرب، وقد كانت معرضة لغزو الكفار، الذين حاولوا ذلك خمس سنوات، كان آخرها في غزوة الخندق التي تجمع فيها عشرة آلاف مقاتل لاستئصال شأفة المسلمين. وكان حفر الخندق بمثابة تعميق الدفاع، وتأمين المقاتلين. وبعد انتهاء الخطر الأمني بعد غزوة الخندق، وبعد أن اطمأن الرسول إلى أن المدينة أصبحت حصناً أميناً، أعاد المهاجرين من الحبشة، التي كانت قاعدةً احتياطيةً وعمقاً استراتيجياً للمسلمين.

تعليمات أمن الأفراد:

تتضمن تعليمات امن الأفراد ما يلي:

* الكتمان: ويأتي بعدم الحديث عن النفس والعمل وعن الآخرين وأعمالهم.

* مراعاة «مبدأ المعرفة على قدر الحاجة» (need to know).

* تجنُّب الإثارة.

* الحذر من الاستدراج.

* الحذر من وسائل التصنُّت.

* ترك كل ما يتعلق بالعمل من أوراق وأدوات في المكتب، مع إحكام الإقفال وتسليم المفاتيح للجهة المسؤولة.

* اتباع السُّلوك المستقيم.

أثر العقيدة في تحقيق أمن الفرد:

* يُكسب الإيمان الإنسان السكينة والطمأنينة والأمان، وتتذبذب هذه الحالة، ضعفاً وقوةً، بقدر اعتصام الإنسان بشعب الإيمان أو ابتعاده عنها، لأن الإيمان، وحده العاصم من البطر بخير الدنيا أو الجزع من نصبها ولإيوائها، فالمؤمن الحقُّ عادةً ما يكون متوسط المشاعر في حالتي الخير والشر: ﴿لكيلا تأسَوا علَى مَا فاتكُم ولا تفرحُوا بمَا آتاكُم﴾[58]، ﴿ولا تجعَل يدكَ مغلولةً إلى عنقكَ ولا تبسطهَا كلَّ البسطِ فتقعدَ ملوماً محسوراً﴾[59].

* ولما كانت قوى الطبيعة، وقوى المجتمع الشريرة، تثير قلق الإنسان وخوفه، فإنَّ النجاة منها نصيب الإنسان المعتصم بذكر الله، ﴿الذينَ آمنُوا وتطمئنُّ قلوبهُم بذكرِ اللهِ ألا بذكرِ اللهِ تطمئنُّ القلوبُ﴾[60]. وحالة الأمن والطمأنينة الشافية لا تتم إلا إذا نزع المؤمن من قلبه كل أنواع الشرك: ﴿الذينَ آمنُوا ولَم يلبسُوا إيمانهُم بظلم أولئكَ لهمُ الأمن وهُم مهتدونَ﴾[61]، ويقول مفسرو هذه الآية: إن الظلم هنا هو الشرك، وان هذه الآية لما نزلت شق ذلك على أصحاب النبي ص، فقال لهم: «ألم تروا إلى قوله تعالى: ﴿إنَّ الشركَ لظلمٌ عظيمٌ﴾[62]».

* ومن مذهبات الأمن والطمأنينة: الموت والجوع والخوف، وهي المنغصات الثلاث التي ما فتئت تطارد الإنسان بالقلق، ولكن المؤمن يعتبرها ـ جميعاً ـ ابتلاءً من الله، فيصبر عليها انتظاراً لثوابه، ﴿ولنبلونكُم بشيءٍ منَ الخوفِ والجوعِ ونقص منَ الأموال والأنفس والثمراتِ وبشرِ الصابرينَ. الذينَ إذا أصابتهُم مصيبةٌ قالُوا إنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعونَ﴾[63].

* ومما يصيب الإنسان بالخوف والجزع، الحرب وساحات الوغى. والإيمان يهيئ المؤمن للثبات في الحرب، بإشاعة روح الجهاد وجعل الشهادة في سبيل الله غايةً رفيعة، ﴿يَا أيهَا الذينَ آمنُوا إذا لقيتُم فئةً فاثبتُوا واذكرُوا اللهَ كثيراً لعلكُم تفلحونَ﴾[64].

لذلك نجد المؤمن لا يخشى حشود الأعداء ولا يأبه لتقصدهم إياه بالشائعات والدعايات، قال تعالى: ﴿الذينَ قالَ لهمُ الناسُ إنَّ الناسَ قَد جمعُوا لكُم فاخشوهُم فزادهُم إيماناً وقالُوا حسبنَا اللهُ ونعمَ الوكيلُ﴾[65]. وليست طمأنينة المؤمن بوقف على حالة التهديد من الأعداء قبل خوض المعترك، بل نجده في معمعان المعركة يغشاه النعاس بفضل إيمانه، وبفضل الله على عباده المؤمنين، ﴿ثمَّ انزلَ عليكُم مِن بعدِ الغمِ أمنةً نعاساً يغشَى طائفةً منكُم﴾[66].

الاستقامة:

يقول تعالى في محكم تنزيله: ﴿فاستقِم كمَا أُمرتَ ومَن تابَ معكَ ولا تطغَوا إنهُ بمَا تعملونَ بصيرٌ﴾[67]، وفي القرآن: ﴿قالَ قد أُجيبَت دعوتكُمَا فاستقيمَا ولا تتبعانِّ سبيلَ الذينَ لا يعلمُون﴾[68]، وقال تعالى: ﴿إنَّ الذينَ قالُوا ربنَا اللهُ ثمَّ استقامُوا تتنزلُ عليهُم الملائكةُ ألاَّ تخافُوا ولا تحزنُوا وأبشرُوا بالجنةِ التي كنتُم توعدُون﴾[69]. إنَّ هذه الآيات ـ جميعاً ـ تشير إلى قيمة الاستقامة في تثبيت القلوب وطمأنتها، ومن ثم، فالاستقامة شرطٌ حتمٌ لتحقيق الأمن.

الفصل الرابع
أمن المعلومات والوثائق

يقصد بأمن المعلومات، جميع الإجراءات الوقائية التي تُتخذ للحفاظ على المعلومات، ويشمل ذلك الجهود والقرارات ذات السرية، ضماناً لصونها من التسرب إلى الأعداء أو الجهات غير المسموح لها بالإطلاع عليها، ويدخل ضمن هذه الإجراءات، الخداع وتضليل العدو عن طريق نشر وترويج معلومات غير صحيحة.

والعدوُّ يسعى للحصول على المعلومات بشتى الوسائل، سواءٌ بالمصادر العلنية، مثل وسائل الإعلام، التي تشكل الجزء الأساس من وسائل المعلومات، أو بتجنيد العملاء والجواسيس.

ومع تطور الوسائل التقنية، عُرفت وسائل رصد وتسجيل الرسائل المتبادلة عبر الهاتف السلكي واللاسلكي، ووسائل اكتشاف الرسائل السرية، وفك رموز الشفرة، واستخدام الأقمار الصناعية في عمليات الاستطلاع، وبالونات المراقبة، وتقنية الاستشعار من بعد، والتصوير الجوي البعيد المدى. ورغم هذا التطور التقني في معدات ووسائل التجسس تظل الوثائق السرية، بما تحويه من تفاصيل، هي الهدف الرئيسي للعدو، ويظلُّ التجسس بواسطة الإنسان هو الخطر الأكبر، كما تظل الإجراءات التقليدية هي الضمانة الأساسية لتعطيل جهد العدو.

إجراءات تحقيق أمن المعلومات والوثائق:

أولاً: الطباعة:

لما كانت الطباعة طريقة معهودة في حركة الجهود الأمنية، فإن من الضرورة الاعتناء بها كعملية جد خطيرة ربما تكون منفذاً للاختراق الأمني، لذا فإن من شروط سلامتها:

* اختيار أشخاص مؤتمنين لطباعة الوثائق السرية، وحفظها وتداولها.

* يستحسن توحيد مكان طباعة الوثائق السرية وتوحيد الآلات الطابعة لتيسير إجراءات تأمين المكان، من حيث موقعه وتحصينه.

* تجهيز مكان مأمون لحرق وإتلاف المسودات، والكربون، والنسخ الزائدة من الوثائق السرية.

* عدم استنساخ صور إضافية من الوثائق السرية تزيد عن الحاجة.

* وضع درجة السرية المناسبة في أعلى وأسفل كل صفحة.

ثانياً: التصنيف:

يعني التصنيف، إعطاء الوثيقة درجة سرية معينة، توضع، عادة، في بداية الوثيقة ونهايتها. ففي حالة الأوراق والصور توضع درجة السرية في بداية الصفحة، وفي أسفلها، وعلى كل صفحة ـ وباللون الأحمر ـ وترقم الأوراق. وفي حالة الأشرطة المسجلة، تكتب على الشريط ـ وتقال ـ درجة السرية، قبل بداية التسجيل وفي نهايته. ويجب أن توضع الدرجة المناسبة دون مغالاة ولا تخفيف، لان المغالاة في درجة السرية ترهق الجهات المختصة بحفظ أكداس من الوثائق، بينما يتيح التخفيف للعدو فرصة الحصول على وثائق سرية بسهولة.

أهمية التصنيف:

هنالك عدد من الفوائد التي تحققها عملية التصنيف، وغالباً ما تنزع إليها الأجهزة الأمنية، فهي تحقق:

* الدلالة على أهمية الوثيقة وخطورتها.

* تحديد درجة الحماية المطلوبة للوثيقة.

* تحديد الجهات المخول لها فض الوثيقة وتداولها.

* تحديد طريقة تظريف الوثيقة.

درجات التصنيف:

هنالك خمس درجات للتصنيف ينمُّ تسلسلها عن تفاوت بينها في مستوى الأهمية ومجال التداول، وهي ترد على النحو التالي:

(سري للغاية)

ويُعطى هذا التصنيف للوثائق التي تحتوي على معلومات غاية في السرية، فإذا حصل عليها العدو سبب خطراً كبيراً ومؤكداً على سلامة البلاد وأمنها. وتحفظ مثل هذه الوثائق في خزائن حديدية متينة ذات أقفال قوية لها روافع، وتوضع عليها حراسة. وتشمل مثل هذه المعلومات: المعلومات الاستراتيجية عن الدولة وعن العدو، والقرارات الهامة في الدولة.

(سري)

وتُعطى هذه الدرجة للوثائق التي تحوى معلومات عن العمليات والسياسات والقرارات الراهنة ذات الأهمية، فإذا طالتها أيدي العدو نجمت عنها أضرار بالغة بالدولة، ومعهود في مثل هذه المعلومات أن تحفظ في خزائن حديدية.

(مكتوم)

وتُعطى هذه الدرجة للوثائق التي تحوي معلومات ينبغي ألا يتداولها سوى الأشخاص المسؤولين وهي المعلومات التي إذا اطلع عليها العدو تؤثر في كفاءة الأداء، وتُحفظ ـ عادة ـ معلومات هذا التصنيف في دواليب حديدية مغلقة.

(محظور)

وتُعطى هذه الدرجة للوثائق التي تحوي معلومات معدة للتداول الرسمي، وهي ليست ذات سرية عالية، ولكنها ليست للنشر بين أفراد الجمهور، وعادة ما توضع في دواليب مغلقة، وهي تشمل المجلات والكتب المحظورة.

(غير سري)

وهي معلومات عامة، يكتب عليها أحيانا: (غ. ذ. س)، أو يهمل كتابة أي درجة عليها.

ويخصص لكل درجة سرية من يحق له وضعها، ويقوم الشخص المحدد بوضع درجة السرية على الوثيقة ويوقع عليها بنفسه، وهو المسؤول عن مراجعة درجتها لتحقيقها أو إلغائها. ويُراعى في الوثائق التي تحوي درجة سرية عالية ـ مثل: سري وسري للغاية، التوضيح في أعلى الوثيقة، من جهة اليسار، عدد الصفحات، وعدد النسخ، ورقم كل نسخة، والجهة المعنون إليها. ولا يجوز استنساخ نسخ إضافية من الوثيقة ذات السرية العالية، إلا بواسطة جهة الإصدار، أو من يخول كتابة ذلك.

ثالثاً: تداول الوثائق: ـ

نعرض هنا عدداً من الأسس التي ينبغي أن تُراعى في تداول الوثائق، لان في ذلك ما يضمن سلامتها وصونها:

* إذا كانت الوثيقة ذات درجة سرية عالية، فمن المتوجب أن يرفق معها ورقة سيرة تاريخية للوثيقة توضح من يسمح لهم بتداولها، ومن اطلع عليها، وتاريخ ذلك، وحركة الوثيقة، وذلك لسهولة حصر أي تسرب.

* لا تُفض المظاريف المعنونة بكلمة «شخصي» إلا بواسطة الشخص المعني، أو من ينوب عنه في حالة غيابه.

* عند إطلاع شخص على الوثيقة ذات السرية، يُوقع من اطلع عليها في ورقة السيرة التاريخية للوثيقة، ويوضح زمن الإطلاع وتاريخه، وزمن إعادتها وتاريخها.

* لا يُسمح بنقل الوثيقة السرية من مكان حفظها وتداولها إلى أماكن شخصية أخرى.

* عند نقل الشخص المسؤول عن حفظ الوثائق، تؤخذ الوثائق منه بموجب شهادة تُعتمد من الرئيس المباشر.

* ينبغي أن يجرى تداول الوثائق السرية باليد، وبواسطة الأشخاص المعنيين.

* عند إرسال وثيقة «غاية في السرية»، تُوضع في مظروفين: يُكتب على المظروف الخارجي «سري»، ويُكتب على الداخلي «سري للغاية» لئلا يلفت نظر الغرباء إلى الوثيقة.

* تُختم الوثائق السرية بالشمع الأحمر عند إرسالها لجهات خارج مكان حفظها.

إتلاف الوثائق:

قد يبدو ـ للوهلة الأولى ـ إن إتلاف الوثائق أمر عادي لا يتطلب نهجاً معيناً، غير ان هناك طرائق مرعية في هذا الصدد، تردُ على النحو التالي:

* لا يجوز إتلاف أي وثيقة سرية إلا بموافقة جهة الإصدار.

* تُتلف الوثائق بحيث يستحيل إعادة تجميعها، ويُستخدم في هذا آلات إتلاف الوثائق، ويُحدد مكان خاص لحرقها ـ وبواسطة لجنة ـ على أن يوقع إيصال بذلك.

* لا تُخفض درجة سرية «الوثائق السرية» إلا بموافقة جهة الإصدار.

* تُراجع درجة السرية مع الجهة المصدرة، حسب سرية الوثيقة.

فقدان الوثائق:

عند فقدان آية وثيقة يلزم إتباع الإجراءات التالية:

* يُبلغ دون إبطاء، عند الاشتباه في احتمال تسرب الوثيقة السرية.

* عند فقدان أية وثيقة سرية يجري تشكيل لجنة تحقيق فوراً.

* عند إطلاع شخص ـ أو جهة غير مخولة ـ على وثيقة سرية، تُخطر الرئاسة وجهة الإصدار فوراً.

* تبحث لجنة التحقيق عن ظروف فقدان الوثيقة، ونقاط الضعف والإهمال في حفظها وتداولها، ثم توجه بالتصرف حيال المعلومات التي تحتويها الوثيقة المفقودة، والإجراءات المطلوبة لضمان ألا يتكرر ما حدث.

* تفقد المعلومات سريتها بمضي الزمن، ويتفاوت زمن فقدان السرية تبعاً لنوع المعلومات. فالمعلومات المتعلقة بتحرك شخصية هامة، تنتهي بوصول هذه الشخصية إلى الجهة المقصودة. ومعلومات القتال تنتهي سريتها بانتهاء العمليات.. وهكذا. لذلك يجب متابعة درجات السرية وإزالتها متى زالت الحاجة إليها، لئلا تتكدس معلومات تحمل درجات سرية لا قيمة لها.

إجراءات التحقيق في فقدان الوثائق:

عند تعيين لجنة للتحقيق في فقدان وثيقة ما، يجب مراعاة التالي:

* الإطلاع على الأوامر الدائمة والتعليمات الخاصة بأمن الوثائق.

* جمع معلومات عن الوثيقة التي فقدت: موضوعها، ودرجة سريتها، ورقمها، وتاريخها، والوثيقة التاريخية التي تليها.

* معرفة المرفقات التي أرسلت مع الوثيقة.

* معرفة الجهة التي تسربت منها الوثيقة، وذلك بمراجعة النسخ والتوزيع.

* معرفة تاريخ وصول الوثيقة.

* معرفة المسؤول عن حفظها وتداولها، وطريقة حفظها وتداولها.

* الإجابة عن: أين كانت الوثيقة؟ ومن هو آخر من اطلع عليها؟

* معرفة ظروف اكتشاف فقدان الوثيقة، أو تسربها، والإجراءات التي اتخذت فوراً.

* استقصاء إجراءات حفظ الوثيقة لحظة فقدانها، أو تسربها.

* استقصاء طريقة الحراسة والقفل والخزائن.

* تحديد الأخطاء التي أدت إلى الفقدان والتسرب.

* تحديد الجهات، أو الأشخاص المقصرين.

* وضع إجراءات لضمان ألا يتكرر الخطأ، عبر سد الثغرات الأمنية.

حفظ الوثائق:

تحفظ الوثائق السرية وفقاً لدرجة سريتها ـ التي أوضحناها في درجات التصنيف ـ وينبغي أن تكون إجراءات التأمين كاملة ومتدرجة، تبدأ ـ مثلاً ـ بالأسلاك الشائكة، ثم الحيطان العالية، ثم الغرف الحصينة المزودة بنوافذ وأبواب قوية، ثم الخزائن الحديدية الصلدة والأقفال المتينة، ثم تركيب أجهزة الإنذار والمراقبة ووضع حراسة على المنطقة.

كما يجب اتخاذ إجراءات ضد الحريق، واختيار غرف بعيدة عن الزوار لطبع الوثائق، وغرف مؤمنة وبعيدة لحفظها، ويلزم الاعتناء بحفظ المفاتيح في مكان أمين، وحرق المسودات والكربون وأشرطة الماكينات التي طُبعت بها الوثائق «السرية» و«السرية للغاية»، ومحاذرة التفوه بأرقام الخزائن ذات الأرقام أثناء فتح تلك الحزائن، خشية وجود تسجيل أو استراق سمع. ومن الجدير بالمراعاة ملاحظة أي آثار توحي بأن الوثيقة قد عُبث بها، أو أنها قد سُربت أو سرق جزء منها.

رابعاً: المحافظة على الأسرار:

إن إفشاء المعلومات السرية التي تضر بالمصلحة العامة أمر في غاية الخطورة، وقد يحدث تسرب المعلومات إلى العدو ـ بحسن نية أحياناً ـ من بعض المواطنين، أو موظفي الخدمة المدنية، أو الصحفيين الذين لا يقدرون خطورة المعلومات. وكثيراً ما ينجم الإفشاء وسعى من العدو الذي يجند أفراده وعملاءه ووسائله للحصول على المعلومات. ولتفادى تسرب المعلومات يجدر الاهتمام بتوعية المواطنين لإنماء الحس الأمني لديهم، خاصة العاملين في الدولة وأولئك الذين يتداولون معلومات سرية بحكم عملهم.

ولتجنب تسرب المعلومات المتعمد، فإن إجراءات الأمن تبدأ بعدم تمكين المشكوك في ولائهم وسلوكهم من الوثائق السرية، مضياً إلى سائر الإجراءات الأمنية الأخرى، التي تشمل سنّ قوانين لمحاربة الجاسوسية، لأن إثبات تهمة التجسس بالقوانين العادية ليس سراً، فالجاسوس، أو العميل، يستخدم وسائل خاصة، وهو مدرب تدريباً متميزاً للإفلات من الاعتقال والكشف عن جرمه. ويتوجّب إقامة مكاتب للأمن بكلّ الإدارات والمصالح والوزارات الحساسة، لتولى مسؤولية الأمن بها، وتنفيذ تعليمات الأمن المستديمة التي تصنفها الأجهزة المختصة، وهي تشمل: المصالح، والوزارات، ومؤسسات الدولة خارج أرض الوطن، بما فيها السفارات، ومكاتب الخطوط الجوية، والمكاتب الحكومية الخارجية، والمكاتب الاقتصادية والتجارية.

ولأن الأسرار أمانة، والبوح بها خيانة، فقد حذر الله قائلاً: ﴿يَا أيُها الذينَ آمنُوا لا تخونُوا اللهَ والرسولَ وتخونُوا أماناتكُم وأنتُم تعلمونَ﴾[70].

ومن الدوافع التي تدعو الإنسان إلى إفشاء الأسرار والخيانة، ضعفه أمام المال وإغرائه أو خوفه على أولاده، وقد قال تعالى ـ عقب الآية السابقة-: ﴿واعلمُوا أنّما أموالكُم وأولادكُم فتنةٌ وأنَ اللهَ عندهُ أجرٌ عظيمٌ﴾[71]. وقال تعالى: ﴿يَا أيهَا الذينَ آمنُوا لا تتخذُوا عدِوي وعدوكُم أولياءَ﴾[72].

وقد ذكر أهل التفسير أن هذه الآية نزلت في حاطب بن أبى بلتعة، ذلك: أن امرأة أتت رسول الله ρ من مكة إلى المدينة وهو يتجهز لتفح مكة فقال لها بلتعة: «أمسلمة جئت»، قالت: لا، قال: «فما جاء بك؟» قالت: أنتم الأهل والعشيرة وقد احتجتٌ حاجةً شديدة فقدمتُ إليكم لتعطوني، فقال لها رسول الله ρ: «فأين أنت من شباب أهل مكة؟» ـ وكانت مُغنية ـ فقالت: ما طلب مني شيء من بعد موقعة بدر، فحث الرسول بني عبد المطلب بكسوها، وأعطوها، فأتاها حاطب بن أبي بلتعة، فكتب معها كتاباً إلى أهل مكة وأعطاها عشرة دنانير لتوصل الكتاب فيخبرهم بنوايا الرسول ρ تجاههم ويحذرهم، ونزلت الآية تنهي حاطباً عن فعله وتنهي المؤمنين عن فعلة حاطب.

نماذج من السيرة في أمن المعلومات:

وردت في السيرة النبوية إشارات بديعة تنمُ عن اهتمام النبي ρ وأصحابه بأمن المعلومات، نقتطف منها:

* أمرُ أبي بكر ابنه عبد الله أن يستمع إلى ما يقوله الناس في مكة عن الرسول وأبي بكر، وأن يأتيهما ليلاً بالمعلومات. وقد أخفي الرسول الكريم ρ، ورفيقه أبو بكر معلومة الخروج عن الناس إلا من يحتاجان إليهم في

تأمين الزاد، مثل أسماء بنت أبي بكر، ومن يؤمن الخرج، مثل علي بن أبي طالب، وقلة ممن كان علمهم ضرورة لإنجاح المهمة.

* لقد حرص الرسول ρ وأبو بكر الصديق على أمن المعلومات كثيراً، فرغم اختيارهم غار ثور ـ كمكان آمن ـ فإنهما كانا حريصين على إزالة أثر عبد الله وأسماء. تقول سيرة ابن هشام: (... وأمر عامر بن فُهيرة مولاه أن يرعى غنمَه نهاراً ثم يريحها عليه) لإخفاء الأثر، الذي كانت العرب تجيد اقتفاءه.

* جاء في الحديث الشريف: «إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب»، وقد استخدم أبو بكر رضي الله عنه هذا الأسلوب عندما سأله أحد الأعراب عن رفيقه ـ وهو الرسول الكريم ـ فقال له: «هذا رجل يهديني الطريق»، وقد عنىَ أبو بكر طريق الإسلام والخير، بينما حسب الأعرابي أنه يعني الطريق في السفر.

من أمن المعلومات في القرآن الكريم:

* ﴿ما يلفظُ من قولٍ إلا لديهِ رقيبٌ عتيدٌ﴾[73].

* ﴿ولا تطِع كلّ حلافٍ مهينٍ. همازٍ مشّاءٍ بنمِيم﴾[74].

* ﴿لا خيرَ في كثير من نجواهُم إلا مَن أمرَ بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾[75].

* ﴿وقد نزلَ عليكُم في الكتابِ أن إذا سمعتُم آيات الله يُكفرُ بها ويُستهزأُ بهَا فَلا تقعدُوا معهُم حتّى يخوضُوا في حديث غيره إنّكم إذا مثلهُم﴾[76].

* ﴿ولا تقفُ ما ليس لكَ بهِ علمٌ إنّ السمعَ والبصرَ والفؤادَ كلُ أولئِك كانَ عنهُ مسؤُولاً﴾[77].

* ﴿ويلٌ لكلِ هُمزة لُمزة﴾[78].

من أمن المعلومات في الحديث الشريف:

* «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

* «عليك بالصمت إلا من خير فإنه مطردة للشيطان».

* «لا يدخُل الجنة نمام».

* «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتُك، وابكِ على خطيئتك».

* «من صمت نجا».

* «الصمتُ حكيمٌ وقليلٌ فاعله».

* «من كفّ لسانه ستر عورته، ومن ملك غضبه وقاهُ الله عذابه، ومن اعتذر إلى الله قبل الله عُذره».

* «من كثُر كلامه كثر سقطُه، ومن كثُر سقطُه كثُرت ذنوبه، ومن كثُرت ذنوبه، كانت النارُ أولى به».

* «الحديثُ بينكم أمانةٌ».

* «كفى بالمرء كذباً أن يُحدث بكُل ما سمع».

من أمن المعلومات في الشعر العربي:

جاء رجل إلى سيف الدولة الحمداني يحمل بيتين من الشعر من العباس ابن الأحنف ـ الذي كان قد اتهمه سيف الدولة بإفشاء أسرار الدولة (خرق أمن المعلومات) ـ والبيتان هما:

أمني تخافُ انتشار الحديثِ وحظيَ في ستره أوفرُ

فان لم أصنهُ لبُقيا عليكَ نظرتُ لنفسي كما تنظرُ

وقد أجاز البيتين الشاعر أبو الطيب المتنبي ـ وكان حاضراً بالمجلس ـ فقال:

رضاكَ رضايَ الذي أوثُر وسرّك سري فما أظهرُ

وسركُم في الحشا ميتٌ إذا نُشر السرُ لا يُنشر
وإفشاءُ ما أنا مُستودعٌ من الغدر، والحرُ لا يغدرُ
إذا ما قدرتُ على نُطقه فإني على تركِه أقدرُ
أصرَف نفسي كما أشتهي وأملكها والقنا أحمرُ

ويقول آخر:

يموتُ الفتى من عيرة بلسانه وليس يموتُ المرءُ من عثرةِ الرجل

من أمن المعلومات من المأثورات:

* قال أعرابي: ربّ منطق صدعَ جمعاً، وسكوت شعبَ صدعا.

* وجاء في المثل: اللسانُ لا يندملُ جرحُه.

* وقال الحسن بن علي: (سترُ ما عاينت أحسنُ من إشاعة ما ظننت).

* وقال عمر رضي الله عنه: (لا تتعرّض لما لا يعنيك، واعتزل عدوك، واحذر صديقك من القوم إلا الأمين، ولا أمين إلا من خشي الله، ولا تصحبِ الفاجرَ فتتعلّم فجورَه، ولا تُطلعهُ على سرك. واستشرِ في أمركَ الذين يخشون الله).

* وقال الإمام النّووي: (اعلم أنه ينبغي لكلِّ مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام، إلا كلاماً تظهر المصلحة فيه. ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسنة الإمساك عنه لأنه قد ينجرُ الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، بل هذا كثيرٌ أو غالبٌ في العادة، والسلامة لا يعدلُها شيء).

أمن الحاسوب

صار الحاسوب (الكمبيوتر) أداةً رئيسية في حفظ المعلومات وتداولها، وهو ما ينفكُ يكسب، يوماً بعد يوم، أهمية خاصةً في هذا المضمار.

ومع بروز قيمة الحاسب الآلي وانتشاره، برزت الحاجة إلى حماية سرية المعلومات التي يتضمنها، خوفاً من أن تمتدّ يدٌ إلى مغاليقه فتصل إلى تلك المعلومات، ومن هنا ظهر مفهوم «أمن الحاسوب».

ويُقصد بأمن الحاسوب: جميع الإجراءات التي تُتخذ للحفاظ على المعلومات السرية داخل جهاز الحاسب الآلي، ويشمل ذلك كلّ إجراء في المجالين الفني والوقائي لصيانة المعلومات.

مهددات أمن الحاسوب:

منها:

* الكوارث الطبيعيّة، مثل: الحرائق، والزّلازل، والفيضانات، والصّواعق.
* التجسُس، وسرقة المعلومات، والتدخلات التي تحدث عرضاً أو قصداً.
* الفيروسات الوبائية لإتلاف البرامج.
* وجود خلل في بعض البرامج.
* فقدان البيانات بسبب عطل الأجهزة.
* الأخطاء العفوية أو المتعمدة، التي تتلف المعلومات.

إجراءات أمن الحاسوب:

يستدعى صون المعلومات التي يحتويها الحاسوب إتباع ما يلي:

* تطبيق إجراءات أمن المنشآت بحيث يوضع الحاسوب في غرفة حصينة (Strong Room) لا يدخلها إلا المصرّح لهم بذلك، إضافة إلى تطبيق إجراءات الأمن من الحرائق والكوارث الطّبيعية.

* تطبيق إجراءات أمن المعلومات، قبل وأثناء إدخال المعلومات في الحاسب الآلي، وتحديد كلمات مرور (Pass Words) إلى البرامج، وتغيير هذه الكلمات بعد مضي كل فترة، وعدم إظهار هذه الكلمات على الشاشات، وتحديد الأشخاص المخوّل لهم استخدام الحاسوب، ودرجات التخويل، مثل:

ـ درجة الوصول غير المشروط إلى المعلومات وإجراء أي عمليات عليها.

ـ درجة الوصول المشروط بالاستفادة وقراءة المعلومة، وفي هذه الدرجة ليس مسموحاً بإجراء تعديلات: حذفاً أو إضافةً.

ـ الوصول إلى وثيقة معينة فقط، ولا يحق هنا إجراء أي تعديل.

* وضع أجهزة الكترونية لمكافحة التجسُس على المعلومات، مثل استخدام (البطاقات الذّكيّة) التي يقصد منها الوصول غير المصرح للبيانات، ومثل النظام المتري الحيوي (biometre)، وهي معدات ذات تقانة عالية تفحص بصمات الأصابع، وتقيس النظام المتري التعريفي الذي يحدد مدى صلاحية الشخص المستخدم النظام لتعطيه إذنا بالدخول، مثل إصدار بطاقات شخصية للعاملين في برمجة الحاسوب، تحدد صلاحية الدخول للموقع وصلاحية استخدام الحاسوب، ودرجة استخدام النّظام، وصلاحية إدخال واسترجاع وتداول البيانات.

* وضع نسخ احتياطية من المعلومات السرية الهامة، وكذلك نسخ إضافية من البرامج الهامة (copis ـ back) خوفاً من ضياع المعلومات نتيجةً للكوارث الطبيعية أو أي خلل مفاجئ.

* التوقيع الالكتروني، وهو بديل للتوقيع اليدوي، ومؤداه استخدام رقم أو حرف أو رمز معين، يُضع بحيث يكون معقداً لا يسهل تخمينه، مثل تاريخ الميلاد أو الزواج، ويُستخدم هذا التوقيع الالكتروني تجارياً في المصارف ذات أجهزة الصرف الآلي.

الفصل الخامس

أمن المنشآت

أمن المنشآت ـ أو الأمن المادي ـ يعني جميع الإجراءات والتدابير التي تُنتهج لحماية المنشآت والمرافق الحيوية للدولة من التدمير. والمقصود بالمنشآت: كل غرفة أو مبنى أو مخزن أو معسكر يستهدفه العدو، مثل الغرف والمباني التي بها معلومات سرية، والوزارات والمصالح، وأمكنة إقامة الشخصيات المهمة، ومصادر المياه، ومحطات الطاقة والوقود، والمصانع ومصادر الإنتاج الكبيرة، ووسائل المواصلات، والفنادق ومقار المؤتمرات والاجتماعات، وكل المرافق التي تؤثر في المصالح العليا للبلاد، فالعدو ـ كما أنه ـ يسعى، دائماً، صوب المعلومات السرية، فإنه يسعى إلى تخريب الاقتصاد الوطني، ويهدد المجهود الحربي، وتدمير مؤسسات المجتمع المدني.

وإحباط أهداف العدو لا يمكن إلا بتطبيق إجراءات أمن المنشآت، الذي يعدُ ركناً ركيناً في منظومة أمن البلاد بما تقدم من تسمية مواقعه ومآلاته.

مهددات أمن المنشآت:

* الجاسوسية:

وتنفذُ الجاسوسية عبر اختراق المؤسسات والتسلسل إلى داخلها ـ بواسطة العلماء أو بواسطة الوسائل التقنية ـ للحصول على المعلومات.

* التخريب:

ويشمل:

ـ الإحراق.

ـ التفجير.

ـ استخدام وسائل العنف داخل المنشأة.

ـ استخدام وسائل فنيّة كهربائية أو كيميائية.

ـ إهدار المياه بنسف السُدود، أو استخدام قوّة الماء لتخريب المرافق.

* السّرقة والنهب.

* الهجوم المسلّح.

ولما كانت مرامي العدو في التخريب لا حدود لها فان الله سبحانه وتعالى يأمر المؤمنين بالحذر من مخططاته وحيله، ﴿يأيُها الذينَ آمنُوا خذُوا حذركُم﴾[79]. والحذر من العدو مطلوب حتى عندما يذهب المسلم للصلاة: ﴿فليصلُوا معكَ وليأخذُوا حذرهُم وأسلحتهُم﴾[80].

الموجهات الأساسية لأمن المنشآت

عند الشروع في تطبيق أمن المنشآت يجب الانطلاق من وجهات أساسية، تتبلور في:

أولاً: أن يكون الدفاع عن المنشأة متدرجاً (بعمق) أي في خطوط دفاع وحماية متتالية، تبدأ من الخط الأول «الإنذار المبكر»، وتتابع حتى آخر خطوط الدفاع. وأهمية الخط الأول تكمن في الحيلولة دون مفاجآت الأعداء، والله يقول: ﴿ودّ الذينَ كفروا لو تغفلون عن أسلحتكُم وأمتعتكُم فيميلُون عليكُم ميلةً واحدَة﴾[81]، ويقول سبحانه ﴿لينذرُوا قومهُم إذا رجعُوا إليهم لعلهُم يحذرُون﴾[82].

ثانياً: أن يحقق أمن المنشآت الوقاية من الضرر الذي يسببه العدو بدخوله منطقة الهدف بطريقة مفاجئة وسرية أو مكشوفة، بقصد إتلاف الممتلكات، أو إفسادها، أو الحصول على المعلومات، وكلها من مساعي الأعداء، كما يخبر القرآن: ﴿وإذا تولّى سعَى في الأرضِ ليُفسدَ فيها ويهلكَ الحرثَ والنسلَ واللهُ لا يحبُ الفسَاد﴾[83].

ثالثاً: لأن إجراءات أمن المنشآت ـ في جملتها ـ لا تحقق التأمين التام، بسبب ما قد يحدث في الحواجز الأمنية من ثغرات بسبب الإهمال أو التراخي، أو بعامل الزمن والعوامل الطبيعية.

رابعاً: أن يُدرس وضع كل منشأة على حدة لمعرفة نقاط ضعفها، ثم تأمينها، لان مشروع أمن حماية منشأة ما قد لا يصلح لمنشأة أخرى.

أنواع الحواجز الأمنية.

الحواجز الطبيعية.

من الحواجز الطبيعية: الأنهار والجبال والأودية والمستنقعات. وعند دراسة وضع أي مشروع لأمن منشأة ما، يُستفاد من مثل هذه الجواحز الطبيعية.

وقد أوصى الخليفة عمر بن الخطاب قائد القادسية سعد بن أبى وقاص، بالاستفادة من الحواجز الطبيعية، فقد قال له: (... فإذا انتهيت إلى القادسية فتكون مسالحك على أبقابها، ويكون الناسُ بين الحجرِ والمدرِ على حافات الحجر وحافات المدر).

الحواجز الصناعية:

ومن هذا القبيل: الأسوار والقلاع والأسلاك الشائكة، والخنادق التي تحفر ضمن الدفاعات عن المواقع والمنشآت لتحصينها، ويمكن أن تكون منفردة أو مزدوجة، حسب طبيعة المنشأة أو الوقع.

وقد استخدام الرسول ρ الخندق في الموقعة التي اشتهرت بذات الاسم، كما أقام المسلمون ـ على مر تاريخهم ـ الحصون والقلاع مثل حصن وقلعة صلاح الدين الأيوبي في عجلون ـ بالأردن ـ وغيرها من الحصون الإسلامية

الحواجز البشرية:

وهم الأفراد الذي يكونون الحراسات الثابتة، والدوريات المتحركة ونقاط المراقبة والإنذار.

وعادة ما يوضع الجند في النقاط المتقدمة لتوفير المعلومات عن نوايا العدو وتحركاته. قال أبو يوسف: «ينبغي للإمام أن تكون له مسالح على المواضع التي تنفذ إلى بلاد أهل الشرك من الطُّرق، فيفتشون من مر بهم من التجار، فمن كان معه سلاح أخذ منه ورد. ومن كان معه كتاب قُرءت كتبه، فما كان من أخبار المسلمين قد كتب به أخذ الذي صيب معه الكتاب وبعث به إلى الإمام ليرى فيه رأيه».

الحواجز الحيوانية:

كثيراً ما تستخدم الحيوانات في تكثيف الحراسات، كالكلاب، والطيور ذات الحساسية والانتباه ومنها البط والببغاوات.

الحواجز الأخرى:

هنالك حواجز تقاوم من الأحزمة الكهربائية أو الإشعاعية، وتشكل إنذاراً لأي اختراق. ومع تقدم العلم ظهرت وسائل فعالةً، مثل الدوائر التلفزيونية المغلقة، ومثل أنواع مختلفة من أجهزة الإنذار. ونظراً إلى محدودية الأجهزة وعدم ضمان كفاءة وفاعلية الإجراءات، فمن الخير توعية الجمهور وتنمية الحس الأمني لديه، ليجسد المجتمع بنفسه حاجزاً تتكسر عليه مخططات المتربصين، وقد وصف القرآن سلوك العدو تجاه المنشآت ومخازن المؤن والأغذية وغيرها قائلاً: ﴿وإذا تولّى سعَى فِي الأرضِ ليُفسد فيها ويُهلكَ الحرثَ والنسلَ واللهُ لا يحبُ الفسَاد﴾[84].

أما من جانب قوات المسلمين، فلا يجوز إتلاف المزروعات والمباني وقتل الأطفال والتمثيل بجثث الموتى، ﴿ولا تعثَوا في الأرضِ مُفسدين﴾[85]. ويقول الرسل الكريم موجهاً قادة جيشه: «لا تهدموا بيتاً، ولا تقعرن شجراً، إلا شجراً يمنعكم قتالاً أو يحجز بينكم وبين المشركين». وإتلاف منشآت العدو وحرثه وآلياته يقدر بقدره، فلا يزيد عن حاجة القتال والظفر بالعدو، أو تحطيم روحه المعنوي. يقول تعالى: ﴿يخربونَ بيوتهُم بأيديهِم وأيدِي

المؤمنينَ﴾[86]. كما أجاز القرآن عند الضرورة القتالية - فقط - قطع الثمار والحرث: ﴿ما قطعتُم من لينة أو تركتموهَا قائمةً على أُصولِها فبإذنِ اللهِ وليخزى الفاسقين﴾[87]. ويردُ ضمن تخريب المجهود الحربي للعدو، نسف الجسور، والسكك الحديدة، والطرق المعبدة، وغير ذلك، تمهيداً للقضاء عليه بعد إضعافه.

الفصل السادس

الأمن الغذائي والمائي

إن بين الغذاء ومفهوم الأمن تلازماً وشيجاً يتأتى من قيمة الغذاء ذاتها في حياة البشر، فيطرد الأمن لديهم ما توفر الغذاء، ويعتروهم دائماً الخوف من نقصه والجزع من انعدامه. ويتجلى تلازم الغذاء والأمن، كأوضح ما يكون في الإشارة القرآنية المعجزة: ﴿فليعبدُوا ربّ هذَا البيتِ. الذِي أطعمهُم من جوع وآمنهُم مِنّ خوف﴾[88].

ولعل من أكثر مظاهر اضطراب الأمن ذيوعاً في عصرنا هذا، أن كثيراً من الأفراد والجماعات يموتون جوعاً، في حين أن بعضاً من الأفراد والجماعات يموتون تخمةً!! والرسول الكريم يقول: «من بات آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها». فمجتمع الإيمان أقرب المجتمعات إلى الكفاية في القوت، لهذا فهو آمن من الاضطراب الأمني الذي يحدثه الجوع، وما ذاك إلا بوازع القناعة والزهد، لأن، من ضمن قوت يومه فقد اكتفى، ومن بعد ذا فهو مكلفٌ ـ ضمن المجتمع المسلم ـ بالسعي لترسيخ قيم التكافل.

ويرتبط بالأمن الغذائي ـ تلازماً ـ مفهوم الأمن المائي، فالماء هو أساس الإنتاج الغذائي، وهذا ما أبانه الله في كتابه: ﴿وجعلنَا من الماءِ كل شيء حي﴾[89].

ويقتضي تأمين حاجة الدولة من المياه أن يتعهد أبناؤها مصادر الماء بالرعاية والتنمية إذا كانت الدولة تتمتع بموارد مائية، أما إذا كانت الدولة تعاني نقصاً في مصادر المياه، فما من سبيل أمامها سوى البحث والتنقيب وابتداع السياسات الكفيلة باستيفائها حاجتها من الماء.

ويغدو الأمن المائي بالغ الخطورة مع ما تشير إليه التوقعات من أن المياه ستصبح محوراً للصراعات السياسية والعسكرية بين الدول، استناداً إلى تزايد معدلات الاستهلاك البشري من المياه، وتسارع الخطط الطموحة بين الدول لامتلاك أكبر قدر من المصادر المائية، كل ذلك في غياب القواعد القانونية الدولية الحاسمة في تسوية قضايا المياه.

ممهدات الأمن المائي:

ويمكن التطرق لأهم مهددات الأمن المائي فيما يلي:

* طموحات بعض الدول في الإفادة من مياه الآخرين، كالطموحات الإسرائيلية في مد مياه النيل إلى صحراء النقب.

* وجود بعض أهم المنابع خارج الحدود السياسية للدولة.

* غياب قانون دولي شامل يغطي مشاكل المياه كافةً.

* ما يتطلبه مجال المياه من استثمارات هائلة غير متوفرة، غالباً.

* عدم احترام بعض الدول المصالح المائية لدى الآخرين، مثل:

ـ إقامة منشآت تستهلك كميات من المياه.

ـ انتهاك حقوق الملاحة المائية في الأنهار والبحار.

ـ التعدي على الثروات المائية، كالأسماك، مثلاً.

ـ إقامة مشروعات تضر بمصالح دول أخرى.

ـ عدم احترام الاتفاقيات الثنائية أو الجماعية.

وسائل تحقيق الأمن الغذائي:

تتعدد الوسائل التي يمكن عبرها تحقيق الأمن الغذائي، تبعاً لأهمية الغذاء وتعدد محاولات الإنسان وحيله في الوفاء بحاجته منه، ونذكر هنا أهم تلك الوسائل:

أولاً: الاعتماد على الإنتاج المحلي:

وذلك لئلا تقع الدولة تحت طائلة الضغوط الخارجية، فتُضطر إلى الرضوخ للإملاءات والشروط الخارجية. والاعتماد على الإنتاج المحلي يقتضي:

(أ) الاهتمام بالزراعة والري:

إن الزراعة والري هما أساس إنتاج الغذاء، لذا وجب الاهتمام بزيادة المساحات المزروعة، واستصلاح الأراضي التي تتسرب إليها العيوب لتصبح احتياطاً في المستقبل، والمحافظة على مصادر المياه وإصلاحها والاقتصاد في استخدامها وإنشاء السدود على مجاريها، ومعالجة مشاكل الإطماء، وتطوير وسائل الري، وتكثيف الإفادة من المياه الجوفية. وفي القرآن الكريم إشارات واضحة لأهمية الماء في العمران البشري، يقول تعالى: ﴿هوَ الذي أنزلَ منَ السمَاء ماءً لكُم منهُ شرابٌ ومنهُ شجرٌ فيه تسيمونَ. ينبتُ لكُم بهِ الزرعَ والزيتونَ والنخيلَ والأعنابَ ومِن كلِ الثمراتِ أن في ذلك لآية لقوم يتفكرونَ﴾[90].

ونجد الدول ـ اليوم ـ تضع ضمن حدود أمنها القومي مصادر المياه ومنابعها، فإذا هددت هذه المصادر تضطر الدولة إلى خوض حرب ضدّ المهددين. أما الزرع فانه يتطلب مكافحة كل ما يتهدده من الآفات، باستخدام الوسائل العلمية، والحرص على ألا تتلفه المواشي، والله يسوق لنا ضرباً من ذلك في كتابه: ﴿وداودَ وسليمانَ إذ يحكمَانِ في الحرثِ إذ نفشَت فيه غنمُ القومِ وكنَا لحُكمهِم شاهدِينَ﴾[91]. وعلى الدولة أن تجد في استخدام الموارد استخداماً أمثل في سبيل إنتاج زراعي متميز، بما يتهيأ لها من مدخلات إنتاج عالية الكفاءة، كما يحسن التركيز على زراعة القوت الرئيسي للشعب وزراعته بأضمن وسائل الري، وإلا يُعتمد على الأمطار في الاحتياج الأساسي منه، تحوطاً لتقلبات الطقس واحتمالات الجفاف. ويلزم كذلك، تكثيف الجهود لزيادة الإنتاج باستخدام الآلات الحديثة، والبذور المحسنة، ووسائل الري الحديث، ومخصبات التربة، وتحسين السلالات في الحيوان وتطوير الثروة السمكية.

(ب) تشجيع المنتجين:

إن تخصيص الأرض الزراعية والصناعية للمنتجين من المواطنين، فيه تحقيق «للمصلحة العامة»، الأرض الاستغلال الأمثل لإنتاج الغذاء. وقد أوجب الإسلام الإنتاج وشجع الناس عليه، فالرسول الكريم ρ يقول: «ما أكل أحدٌ طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وان نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده» وقال تعالى: ﴿فإذا قُضيتِ الصلاةُ فانتشرُوا في الأرض وابتغوا من فضلِ الله﴾[92]. ويحثُ الإسلام على تشجيع العامل المنتج وإعطاءه أجره دون إبطاء، ففي الحديث «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه». ومثلما حث الإسلام على حق العمل، حث العامل نفسه على التجويد والإتقان فيما يعمل. قال ص: «خير الكسب كسب العامل إذا نصح»، وقال: «إنَّ الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»، وفي القرآن: ﴿قالَ اجعلنِي علَى خزائنِ الأرض إني حفيظٌ عليم﴾[93] والحفظ والعلم ـ كلاهما ـ من علائم الإتقان والتجويد.

ثانياً: حماية المستهلك:

إنَّ حماية المستهلك من جشع التُّجار والسماسرة لمن أهم وسائل تحقيق الأمن الغذائي. وقد ألزمت الشريعة الإسلامية التاجر أن يتصف بالأمانة والصدق في تجارته وكيله وميزانه وعقوده، قال ρ: «التاجر الصدوق الأمين يُحشر مع النبيين والصديقين والشهداء»، وقال تعالى: ﴿أوفُوا الكيلِ ولا تكونُوا منَ المخسرينَ. وزنُوا بالقسطاسِ المستقيمِ. ولا تبخسُوا الناسَ أشياءهُم﴾[94]. وقال تعالى: ﴿وأقيمُوا الوزنَ بالقسطِ ولا تخسرُوا الميزانَ﴾[95]. وقال تعالى: ﴿ويلٌ للمطففينَ. الذينَ إذا اكتالُوا علَى الناسِ يستوفونَ. وإذا كالوهُم أو زنوهُم يخسرونَ﴾[96].

ومن وسائل استغلال الناس في عالم اليوم ظاهرة الربا، وهي ضرب من أكل أموال الناس بالباطل، وقد حرمه الشرع، قال تعالى: ﴿الذينَ يأكلونَ الربَا لا يقومونَ إلاَّ كمَا يقومُ الذي يتخبطهُ الشيطانُ منَ المسِ ذلكَ بأنهُم قالُوا إنّمَا البيعُ مثلُ الربَا وأحلَّ اللهُ البيعَ وحرمَ الربَا فمَن جاءهُ موعظةٌ مِن ربهِ فانتهى فلهُ ما سلفَ وأمرهُ إلى اللهِ ومَن عادَ فأولئكَ أصحابُ النارِ هُم فيهَا خالدونَ﴾[97]. وقد قيد الإسلام التجارة بخدمة الناس ونفعهم، وكلف أولى الأمر بتيسير سلبها لفائدة الناس.

ثالثاً: محاربة الاحتكار:

المقصود بالاحتكار: تخزين الأطعمة وإخفاؤها لرفع أسعارها ومضاعفة الأرباح في وقت الغلاء. وقد حرم الإسلام احتكار الأطعمة، فقال ρ: «من احتكر طعاماً أربعين يوماً فقد برئ من الله تبارك وتعالى وبرئ الله تبارك وتعالى منه، وأيما أهل عرصة أصبح منهم امرؤٌ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى». ولا شك في أن الاحتكار يؤثر سلبياً في الإنتاج، ومن ثم في الأمن الغذائي، إذ تتعطل به الأعمال في المجتمع، وتتفشى البطالة وتضيق على الناس أقواتهم.

والاحتكار يقوم به، عادة، قلةٌ من المسيطرين على رأس المال: يحتكرون السوق ووسائل الإنتاج، ويحاربون صغار المزارعين، ويوقفون نشاطهم بامتلاك الأراضي الشاسعة ورفع سعر الأرض.

وعلى الدولة الرشيدة التدخل لمنع ذلك بالرقابة على الأسعار، وردع المستهترين بالمواطنين وقوتهم.

رابعاً: ترشيد الاستهلاك:

الإسراف ـ أو السرف ـ هو نقيض القصد أو الاقتصاد. والقصد يساعد في تحقيق الأمن الغذائي إذ يقول الله تعالى: ﴿ولا تسرفُوا إنهُ لا يحبُّ المسرفِين﴾[98]، وقال ص: «ما عال من اقتصد». والإسراف ممنوع في الشريعة الإسلامية لأن ضرره مؤكد، بينما القصد هو مطلب الإسلام، يقول تعالى: ﴿ولا تجعَل يدكَ مغلولةً إلى عنقكَ ولا تبسطهَا كلَّ البسطِ فتقعدَ ملوماً محسوراً﴾[99]. وما أشد حسرة المسرف ـ دولاً وأفراداً ـ في هذا الزمان الذي أصبح الغذاء فيه سلاحاً فتاكاً في يد الأعداء، يستخدمونه في الحصار وفي الضغط على الدول والشعوب، وان هذا ليستدعي التخطيط للمستقبل، بتحسين المخزون وزيادة الاحتياطي الاستراتيجي من الغذاء.

خامساً: حماية الإنتاج:

إنَّ الاجتهاد في الاكتفاء الذاتي من الغذاء يجب أن تتبعه إجراءات لمنع تعويق هذا الجهد من قبل الأعداء، وذلك بالحرص على مكافحة الآفات الطبيعية، ومكافحة الحرائق، وتأمين وسائل التخزين والمواصلات، وتأمين الإمداد بمدخلات الإنتاج في الوقت المناسب، وإتباع سياسات مشجعة في التمويل والتسويق والمرابحات والمزارعات وغيرها من السياسات التي تحفز على المزيد من الإنتاج.

الباب الثاني ..
الأمن الخارجي

الفصل الأول: العوامل الخارجية التي تهدد الأمن

الفصل الثاني: تدابير حفظ الأمن

الفصل الثالث: تدابير أمن البعثات

الأمن الخارجي

مدخل:

إن العلائق بين البشر الأصل فيها السلم والأمن، يكاد يتفق في ذلك المجتمع الدولي كله، ولأجل هذا أنشئت المنظمات والهيئات والمجالس الكفيلة بتحقيقه، ففي أعقاب الحرب الكونية الأولى، شكلت عصبة الأمم لحفظ السلام العالمي، لكنها فشلت في مهمتها، وليس أدل على ذلك من اندلاع الحرب الكونية الثانية، التي نشأت على أنقاضها وأشلاء موتاها هيئة الأمم المتحدة في عام 1945، بديلاً للعصبة، بسبب القرارات الجائرة التي تصدر عن مجلس الأمن المتضمن ما يعرف بحق (الفيتو)، وهو المبرر لأطماع الأقوياء وطغيانهم.

وإننا لنعيش اليوم عالماً مادياً بحتاً، الغاية فيه تبرر الوسيلة، بيد أن هذا العالم قد أضحى متصلاً اتصالاً وثيقاً، ولكل دولة من دوله مصلحة في دولة أخرى، ولا ضير في مفهوم المصالح هذا، من وجهة النظر الإسلامية، بل أن الإسلام ليحض على التواصل والتعارف بين الدول والشعوب وكلاهما من محفزات السلام والأمن الدوليين: ﴿يَا أيهَا الناسُ إنَّا خلقناكُم مِن ذكر وأنثَى وجعلناكُم شعوباً وقبائلَ لتعارفُوا إنَّ أكرمكُم عندَ اللهِ أتقاكُم﴾[100].

وبرغم اعتراف كثير من الدول الكبرى بمبدأ التعايش السلمي إلا أنها، سراً وعلانية، تخرق هذا المبدأ، باستلابها ولاء الشعوب، وبضغوطها الإعلامية والسياسية والاقتصادية على أنظمتها.

ونحن نعايش اليوم تبلور نظام دولي جديد، إذ برزت على الساحة الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى وحيدة، تناصرها حليفات من أوروبا، كما تحالفها الصهيونية العالمية، وكل منهم «طلب صيد» فالولايات المتحدة تعتقد أن سقوط القوة السوفيتية المنافسة يعني خلو الساحة لها، ويبدو ذلك واضحاً في نزقها عند التعامل مع الآخرين، وسعيها للهيمنة على العالم، وهو ما سماه بعض كتابها «نهاية التاريخ»، على اعتبار أن ما بلغته القوة الأمريكية يمثل الذروة في تاريخ النشاط البشري، ولكن: هيهات.

فما زال الشك قائما في ثبات النظام العالمي الجديد على حالة القطبية الواحدة بزعامة أمريكا، ويذهب الكثيرون إلى أن هناك قوى دولية معاصرة مثل (اليابان والصين وأوروبا الموحدة وألمانيا)، يسعى كل منها ليكون قطباً ثانياً أو ثالثاً. ولقد تأتي هذا المذهب من أن النظام الأحادي الذي تسعى أمريكا لفرضه، بعيد كل البعد عن الاستقرار والأمن والسلام، وانه لا يحقق الشرعية وسيادة القانون وفق الأعراف الدولية وميثاق هيئة الأمم المتحدة. وسواء كان النظام الدولي الجديد أحادي القطب أو متعدد الأقطاب، فهل ستتغير طريقة التفكير إزاء مفاهيم الأمم المتحدة التي تعارف عليها المجتمع الدولي؟. وما هي الاعتبارات التي تشكل ضغطاً على القوى الفاعلة صاحبة القوة والمصلحة لاتخاذ مثل هذا الموقف؟ والى أن يحدث ذلك كله، فإن أمراً واقعاً يفرض نفسه، ولا محيد عن الاعتراف به، ومفاده: أن القوة العظمى الوحيدة، اليوم، هي الولايات المتحدة الأمريكية، التي سعت إلى بسط سلطانها، واستطاعت ـ حتى الآن ـ تحقيق أهداف شتى، مثل:

* إخضاع الكثير من الدول، تارة بالترغيب، وبالترهيب تارة أخرى.

* استصدار قرارات تؤيد سلوكها، من المنظمة الدولية ومن دول أخرى، بيسر فاضح، ساق أحد أعضاء الكونغرس الأمريكي ليقول: إنه يستغرب كيف أن الحكومة الأمريكية تستطيع أن تستصدر قرارات من الدول الأجنبية أسهل مما تستطيعه مع الكونغرس!!!.

* استخدام قوة الإعلام الدولي لصالح مخططاتها ورؤاها.

* استخدام قوة المال العالمي لخدمة سياساتها ومصالحها.

* استخدام المنظمات غير الحكومية (ngos)، والمانحين: (nours do) ـ والشركات المتعددة الجنسية، لتحقيق مآربها.

* الدفاع الجائر عن المخططات الإسرائيلية لتبادل المنافع معها، وهو موقف له جذوره التاريخية ونتائجه الظاهرة للعيان.

وكل هذا مناقض لميثاق الأمم المتحدة، كما انه خرق واضح لمبادئه. وعندما نقرأ ديباجة الميثاق وفصل الأول، يتضح لنا ذلك جليا.

الديباجة، والفصل الأول من ميثاق الأمم المتحدة:

أ ـ تنصُّ ديباجة ميثاق الأمم المتحدة على:

* إنقاذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب.

* الإيمان بالحقوق الأساسية للإنسان وبكرامة الفرد وقدره، وبما للرجال والنساء ـ والأمم كبيرها وصغيرها ـ من حقوق متساوية.

* المضى قدماً بالرقى الاجتماعي، ورفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح.

وفي سبل هذا الغايات:

* أن نأخذ أنفسنا بالتسامح، وان نعيش معاً في سلام وحسن جوار.

* أن نضم قوانا كي نحتفظ بالسلم والأمن الدولي.

* أن نكفل ـ بقبولنا مبادئ معينة ورسم الخطط اللازمة لها ـ ألا نستخدم القوة المسلحة في غير المصلحة المشتركة.

* أن نستخدم الأداة الدولية في ترقية الشؤون الاقتصادية والاجتماعية للشعوب جميعاً.

كما تنص المادة الأولى من الميثاق ـ والتي تتعلق بمقاصد الهيئة ومبادئها ـ على التالي:

* حفظ السلم والأمن الدولي: وتحقيقاً لهذه الغاية، تتخذ الهيئة التدابير المشتركة الفعالة لمنع الأسباب التي تهدد السلم، والكفيلة بإزالتها، وتقمع أعمال العدوان وغيرها من وجوه الإخلال بالسلم، وتتذرع بالوسائل السلمية، وفقاً لمبادئ العدل والقانون الدولي، لحل المنازعات الدولية التي قد تؤدي إلى الإخلال بالسلم، أو لتسويتها.

* إنماء العلاقات الدولية بين الأمم على أساس احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب، وبأن يكون لكل منها تقرير مصيرها، وكذلك اتخاذ التدابير الأخرى اللازمة والملائمة لتعزيز السلم العام.

* تحقيق التعاون الدولي في حل المسائل الدولية ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية، وعلى تعزيز احترام الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعاً، والتشجيع على ذلك مطلاقاً، بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين، ولا تفريق بين الرجال والنساء.

* جعل هذه الهيئة مرجعاً لتنسيق أعمال الأمم المتحدة وتوجيهها نحو إدراك هذه الغايات المشتركة.

المادة الثانية:

تعمل الهيئة ـ وأعضاؤها ـ في سعيها وراء المقاصد المذكورة في المادة الأولى، وفقاً للمبادئ الاتية:

* تقوم الهيئة على مبدأ المساواة في السيادة بين جميع أعضائها.

* لكي يكفل لأعضاء الهيئة، جميعاً، الحقوق والمزايات المترتبة على صفة العضوية، يقومون في حسن نية بالالتزامات التي أخذوها على أنفسهم بهذا الميثاق.

* يفضُّ جمع أعضاء الهيئة نزاعاتهم الدولية بالوسائل السلمية على وجه لا يجعل السلم والأمن والعدل الدولي عرضة للخطر.

* يمتنع أعضاء الهيئة، جميعاً، في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضد سلامة الأراضي أو الاستقلال السياسي لأية دولة، أو على أي وجه آخر لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة.

* يقدم جميع الأعضاء كل ما في وسعهم من عون إلى «الأمم المتحدة»، في أي عمل تتخذه وفق هذا الميثاق، كما يمتنعون عن مساعدة أية دولة، تتخذ الأمم المتحدة إزاءها عملاً من أعمال المنع أو القمع.

* تعمل الهيئة على أن تسير الدول غير الأعضاء فيها على هذا المبادئ بقدر ما تقتضيه ضرورة حفظ السلم والأمن الدولي.

* ليس في هذا الميثاق ما يسوغ «للأمم المتحدة» أن تتدخل في الشؤون التي تكون من صميم السلطان الداخلي لدولة ما، وليس فيه ما يقتضي الأعضاء أن يعرضوا مثل هذه المسائل لان تحل بحكم هذا الميثاق، على أن هذا المبدأ لا يخلُّ بتطبيق تدابير القمع الواردة في الفصل السابع.

وإذا تمعنا في ميثاق الأمم المتحدة، نجد أن نصوصه تركز على أهمية الأمن والسلام وتجنب الحرب والصدام، وتنص على ضمانة العوامل التي تحقق غايات الأمن والسلام، مثل حقوق الإنسان، والحقوق المتساوية للأمم كبيرها وصغيرها.

ولكننا نشاهد، اليوم، خرقاً مستمراً لحقوق الأفراد والأمم، وتمييزاً بشعاً بين الدول. وبينما ينصُّ الميثاق على عدم استخدام القوة المسلحة، فإننا نرى دولاً تستخدم القوة المسلحة كيفما تشاء لتحقيق رغباتها، ضاربة عرض الحائط بالفقرة الرابعة من المادة الثانية للميثاق، التي تنصُّ على الامتناع عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضد سلامة الأراضي أو الاستقلال السياسي للدول، كما نشاهد الدول ذات المقدرات العسكرية الهائلة تتدخل في الشؤون التي هي من صميم السلطان الداخلي للدول الضعيفة، حيناً بتحريض المتمردين، وحيناً آخر ببث الفتن الداخلية!! إنه اغتيالٌ مع سبق الإصرار والترصد لميثاق الأمم المتحدة من ديباجته إلى خاتمته.

ويحقُّ للعرب والمسلمين أن يتساءلوا: أين نحن من هذا العالم الجديد الأخذ في التشكيل بخصائصه الراهنة المتسمة بالتنافس غير الشريف، وانتفاء الالتزام بالعهود والمواثيق؟

وان سؤالاً منطقياً ينشأ من ذلك التساؤل: هل ينحاز المسلمون إلى القوة العظمى الوحيدة؟ أم ينحازون إلى منافسيها المحتملين أم يبقون معزولين عن الجميع: لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء؟

أن الانحياز إلى القوة العظمى الوحيدة، حتماً لا يفيد، لأن سلوكها ما فتئ، كل يوم، يُظهر طيشاً مخزياً وجنوحاً إلى البطش وهجر العدل والعقل، فما السبيل؟

أن هذه التقدمة قصدت إلى عرض خريطة العلاقات الدولية الراهنة عرضاً عاماً، من شأنه أن ييسر علينا النفاذ إلى معطيات الأمن الخارجي: متطلباته، ووسائله، ومراميه.

ففهم متطلبات الأمن الخارجي، نصف الطريق إلى النجاة.. ولا يكمل ما بقى منه إلا بتطويع وسائله.. وإنفاذ أدواته.. بعد التوكل على الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون).

الفصل الأول
العوامل الخارجية التي تهدد الأمن

يمكننا ـ كما سيرد ـ عرض العوامل الخارجية، التي تهدد الأمن، وفقاً لاختلاف مجالاتها، رغم وحدة مبتغيات هذه العوامل، وهو تقسيم اقتضاه ما نسعى إليه من وضوح وإيجاز، في موضوع لا يحتمل غير الوضوح والإيجاز، ويشمل التقسيم: العوامل السياسية، والعوامل الاقتصادية، والعوامل العسكرية، وفيما يلي تبيان تفاصيلها.

العوامل السياسية:

وتتبدى في:

* محاولات الهيمنة السياسية، وفرض إطار سياسي وأيديولوجي محدد، وتكثيف الدعاية ضد الفكرة والعقيدة.

* تفتيت الوحدة الوطنية، وتشجيع النعرات العرقية والفتن الداخلية.

* الدعاية السياسية المضادة، والترويج لمخالفات وجرائم لم تحدث، مثل الاتهام بالإرهاب، وإضاعة حقوق الإنسان.

* التأثير السلبي على الروح المعنوي، بالتخذيل تارة، وبتضخيم الأحداث السلبية تارة، والنقد الهدام للسياسات وبث الشائعات تارة أخرى.

* محاولات استلاب الولاء، وخلع المجتمع من جذوره، وتشكيكه في حضارته وتراثه، ومحاولة إلحاقه بنمط ثقافي وسلوكي مغاير.

* المقاطعة السياسية، والتأثير المضاد على آراء الحكومات والشعوب، ومواقفها وأفكارها.

العوامل الاقتصادية:

وتكمن في:

* الحصار الاقتصادي، واستخدام الغذاء سلاحاً، وفرض عقوبات بُنيت على الاتهامات المغرضة والدعاية الكاذبة.

* استخدام الديون وفوائد خدمتها كوسيلة للترغيب والترهيب، فالدول التي تستجيب بالخضوع تخفف عنها الديون أو تعفى، والدول التي تتأبى على الخضوع تلاحق ويضيق عليها الخناق.

* تقييد التجارة الدولية، والمساعدات والمعونات والمنح، بشروط سياسية.

* إتباع نهج جائر في العلاقات الاقتصادية الدولية، عبر سياسات الصادر والوارد.

* التأثير على نمط الحياة والسلوك الاستهلاكي، باستغلال الكوارث الطبيعية، والاضطرابات، وشح الغذاء، والحروب.

* السيطرة على السوق العالمي، وعرقلة مساعي الدول النامية للاكتفاء الذاتي، أو إتباع سياسات التقشُّف ومحاربة العادات الاستهلاكية الضارة.

العوامل العسكرية:

وتتضح في:

* الغزو العسكري المسلح، ثم الاحتلال الدائم أو المؤقت، إما لتأييد قوى موالية للأجنبي الغازي، أو لإزالة نظام سياسي معاد لتوجهات الغزاة.

* المناوشات المسلحة على الحدود، أو إجراء المناورات قربها; بثاً للقلق والخوف.

* مساعدة العناصر المتمردة بالسلاح والغذاء، ومناصرتهم سياسياً وإعلامياً.

* مساندة وتأييد الاضطرابات الأمنية، ومدها بالدعم المادي والمعنوي.

* التآمر مع دول الجوار ـ التي لديها ما يدعوها للتآمر ـ بمنحها معلومات عسكرية مزورة عن تحركات عدوانية ضدها.

* التجسس، وتجنيد العملاء للقيام بأعمال التخريب وجمع المعلومات.

* ارتياد الحرب النفسية، بنشر الدعاية والشائعات، للتخذيل والإرهاب.

* التطويق عبر الحصار العسكري، ومنع استيراد الأسلحة والذخائر وقطع الغيار.

الفصل الثاني

تدابير حفظ الأمن الخارجي

من البديهي أن الدول تبتعد عن مهددات الأمن الخارجي، بقدر ما تتمتع به من إدراك تلك المهددات، ثم بما تنتهجه من تدابير لصون ذاتها من المكر الخارجي. وفي الأسطر التالية حديث عما يفترض الاعتداد به من تلك التدابير.

أولاً: تماسك الجبهة الداخلية:

إن قوة الجبهة الداخلية وتماسكها ووحدتها، من أهم العوامل التي تنهزم أمامها التحديات الخارجية.

ولا يتحقق تماسك الجبهة الداخلية إلا إذا تمتع المجتمع بالحرية، والعدالة الاجتماعية، واستشعر القدوة الحسنة في حكامه، منهجاً وسلوكاً وأداء. فالمجتمع الذي ينعم بالوحدة ـ وحدة الولاء لقيمه ـ يتملكه استعلاء على العقائد والقيم التي يحاول العدو أن ينشرها بتشويهه القيم الأصيلة في المجتمع، لذا تذهب محاولات العدو أدراج الرياح، فلا يجد في مجتمع كهذا، من يرضى بموالاته: عمالة أو إعجاباً أو رهبة، بل سيجد من يعتبر موالاة العدو خروجاً عن الدين وخسراناً مبيناً، يقول الله تعالى: ﴿يأيُّهَا الذينَ آمنُوا إن تطيعُوا الذينَ كفرُوا يردوكُم علَى أعقابكُم فتنقلبُوا خاسرينَ﴾[101].

وقوة الجبهة الداخلية تقتضي معالجة الإخفاقات والمشاكل الاقتصادية والسياسية وغيرها من المنغصات التي ينفذ منها العدو. فالحرب النفسية التي يشنها الأعداء تجب مكافحتها بسياج من الثقافة الوطنية والدينية يحمي المواطنين، وبإعلام صادق وفاعل يمدُّ المواطن بالمعلومة الصحيحة، بأسلوب علمي رصين، فالعدو ـ الذي يلاحقنا ـ مصمم على أهدافه ومزود بأكفأ الإمكانات. ﴿ولَن ترضَى عنكَ اليهودُ ولا النصارَى حتَّى تتبعَ ملتهُم قُل إنَّ هدَى اللهِ هوَ الهدَى ولئنِ اتبعتَ أهواءهُم بعدَ الذِي جاءكَ منَ العلمِ مَا لكَ منَ اللهِ ولي ولا نصير﴾[102].

ومن العوامل التي تساعد على الصمود والاستقلال، بث روح العمل والإنتاج، وتوفير وسائله ـ وهذا من مؤشرات التماسك الداخلي ـ لئلا تستدعي الحاجة المساومة والخضوع.

ثانياً: العلاقات الخارجية الرشيدة:

صار «النموذج الرشيد» أحد أهم مناهج تحليل السياسة الخارجية في أيامنا هذه، بعد التراكم المعرفي الهائل الذي أحدثته مناهج سابقة، مثل نموذج اتخاذ القرار، ونموذج التكامل، ونموذج المصلحة الوطنية، وسوى ذلك من المناهج.

ويقترب «النموذج الرشيد» في المنهجية الغربية، إلى حد التطابق مع منهج المصلحة الوطنية، الذي يحدد «رشد» السياسة الخارجية بدرجة تمثيلها تلك المصلحة، دون أدنى اعتبار إلى الوسائل المستخدمة في ذلك، حسنت أم أساءت.

ونحن هنا، مع تأكيدنا أن السياسة الخارجية يمكن أن تشتمل حقاً على نموذج «رشيد» في التخطيط والأداء والخارجي، فإننا لا نوافق المنهجية الغربية فيما تفترضه في هذا المنهج من وقوف عند حد المصلحة الوطنية الضيقة، أو إتباع أساليب جائرة في سبيل إقرار تلك المصلحة. فالرؤية الإسلامية ـ بأبعادها العالمية ـ تعتمد «الغاية»، و«الوسيلة» كلتيهما، لتحقيق فحوى «الرشد» كما أنها ـ إضافة إلى ذلك ـ تعتمد على دعائم راسخة في هذا المسار، نعرضها، تفصلاً، كما يلي:

العدل:

أن السياسة الخارجية لدولة تدين بالإسلام، ينبغي أن تكون سياسة خارجية رشيدة تتسم بالعدل والاستقامة وعدم التدخل في شؤون الآخرين، وان تتعامل معهم باحترام متبادل، وان تتعاون معهم لتحقيق كل القيم الخيرة من حرية وسلام وعدل وتنمية.

والإسلام يدعو إلى احترام العهود والمواثيق مهما تعاظم الظلم السياسي والاقتصادي ومهما تطاول التعدي من الآخرين.

وحين يُشاهد المسلمون تفسيراً لنصوص الميثاق يحابى بعض الدول القوية الظالمة، فعليهم مناهضته لا مجاراته: ﴿يَا أيهَا الذينَ آمنُوا كونُوا قوامينَ للهِ شهداءَ بالقسطِ ولا يجرمنكُم شنآنُ قوم علَى ألاَّ تعدلُوا اعدلُوا هوَ أقربُ للتقوَى واتقُوا اللهَ إنَّ اللهَ خبيرٌ بمَا تعملُون﴾[103].

والعدل في سياسة الدولة الإسلامية يقضي بعدم التحيُّز للعصبيات الإقليمية أو القطرية، بل يقضي بنصرة الحق والخير، والعمل على إصلاح الخلل، ورفع الظلم الناشب في النظام الدولي: ﴿ولتكُن منكُم امةٌ يدعونَ إلى الخيرِ ويأمرونَ بالمعروفِ وينهونَ عنِ المنكرِ وأولئكَ همُ المفلحونَ﴾[104].

وليس من العقل في شيء، السعي إلى نسف المؤسسات الدولية القائمة أو إلغائها، بل الحقيق بالاعتبار هو العمل من خلالها، ودعمها، والاحتكام إليها، والإصرار على فعاليتها وبسط سلطانها، ورفض التحكم في قراراتها.

الاستقلال:

لا منجى للدولة المسلمة في علاقاتها الخارجية من أن تتمسك بخصائصها وقيمها، وأن تحافظ على استقلالها وعزتها وكرامتها، وأن ترفض بإباء كل محاولات الإذلال، والضغوط التي تتعرض لها، مهما كانت الجهة التي تصدر عنها مثل تلك الممارسات، وأن تتصدى السياسة الخارجية بقوة واقتدار لمحاولات انتهاك حرية أراضيها وامتهان سيادتها أو الأضرار بمواطنيها.

ثالثاً: المشاركة والاهتمام بما يجري في العالم:

إن الاستقلال والاعتداد لا يعنيان العزلة، فعالم اليوم أصبح من التقارب والاتصال بحيث لا مجال للحديث عن حدود سياسية فاصلة. وليس للمسلمين سوى أن يتعايشوا تعايشاً سلمياً مع الآخرين، دون تبعية أو خضوع. فالإسلام يهتم بأمر المسلمين عامة، ثم أمر العالم كافة، والإسلام يقدر نصرة الحق ويدعو إليها، كما انه مهتم بمتابعة الصراع بين الخير والشر أينما كان ﴿الَم. غلبتِ الرومُ. في أدنَى الأرضِ وهُم مِن بعدِ غلبهِم سيغلبونَ. في بضع سنينَ للهِ الأمر مِن قبلُ ومِن بعدُ ويومئذ يفرحُ المؤمنونَ. بنصرِ اللهِ ينصرُ مَن يشاءُ وهوَ العزيزُ الرحيمُ﴾[105].

وقد كان الرسول ρ مهتماً بما يجري حوله في العالم من وقائع وأحداث، كما كان مهتماً بأن ينتشر أمر الدعوة في كل البقاع، وليس أدل على ذلك من كثرة السفراء الذين بعث بهم يحملون رسائله إلى الملوك والأباطرة عهد ذاك. فممن بعث بهم، الصحابي الجليل معاذ بن جبل، الذي أرسله بكتاب إلى ملوك اليمن: الحارث، ومسروع، ونعيم بن عبد كلال، من حمير، يدعوهم إلى الإسلام. كما بعث الرسول عليه السلام العلاء بن الحضرمي سفيراً إلى البحرين، موفداً إلى المنذر بن ساوى العبدي، يدعوه إلى الإسلام، كما أرسل غيرهم من السفراء إلى كسرى ملك الفرس، وهرقل الروم، ونجاشي الحبشة.

الحرية والمساواة:

إن من الأهمية بمكان، أن تحرص السياسة الخارجية على الإقرار بمبدأ المساواة والحرية المنصوص عليه في المواثيق الدولية، لأنهما من أهم العوامل التي تحقق الأمن والسلام محلياً ودولياً. وقد دعا الإسلام إلى الحرية والمساواة، ما لم يتضمنا عدواناً وانتهاكاً لحرية الآخرين وحقوقهم، ومهما بلغ العسف والافتئات من القوى الغالبة على الدول التي تغالب في سبيل النهوض والتحرر، فان ذلك لا يجدر أن يكون مدعاةً لتخلي المسلمين عن مبادئهم الراسخة في توخي الحرية والمساواة حيال حقوق الآخرين في سياساتهم ورغباتهم.

التعاون الدولي:

من أجل تأسيس تعاون دولي جاد، يحسن أن تسعى السياسة الخارجية إلى تصحيح الأوضاع الجائرة في مؤسسات التعاون الدولي القائمة، ورفض الخروج عليها بأية حجة، وتخليص هذه المنظمات من هيمنة

أية قوة مهما كانت، وتبادل النصح في التقنيات الحديثة ووسائل الاتصال.

السلام العالمي:

إن السلام والأمن الدوليين هما المبتغى الذي أُقيمت المنظمات الدولية لتحقيقه، وهما أيضاً أصل إسلامي قويم تستدعي أهميته أن تحرص عليه وترعاه السياسة الخارجية لأية دولة إسلامية.

فالإسلام دين السلام، واسمه مشتق من السلم، والسلام من أسماء الله المقدسة: ﴿هوَ اللهُ الذي لا الهَ إلاَّ هوَ الملكُ القدوسُ السلامُ المؤمنُ المهيمنُ﴾[106]، والمسلمون تبشرهم الآيات أن: «تحيتهم فيها سلامٌ» وكل هذه السمات تنمُّ عما لمفهوم السلم من تقدير واجب بين المسلمين.

ويشهد عالمنا اليوم حروباً جائرة في مواضع كثيرة، ومما يؤسف له أن معظمها في ديار الإسلام: في البوسنة، وفلسطين، والصومال، وأفغانستان، وغيرها من أوطان المسلمين. وفي سبيل تحقيق السلم العالمي ينبغي أن تُدعم مؤسسات الحوار الدولي، ومؤسسات فض المنازعات قضائياً، وقبول الاحتكام إليها بعد الاطمئنان إلى جدواها وحيدتها في التعامل حيال القضايا الدولية والإقليمية. كما ينبغي المطالبة الحازمة بنزع أسلحة الدمار الشامل من الدول كافة، وإلزامها بألا تسعى إلى امتلاكها.

وإن كان للسياسة الخارجية دور كبير في تحقيق الأمن والسلام في العلاقات الخارجية، فإن هذا الدور يمتدُّ ليشمل الأهداف الوطنية، وذلك لأن الدبلوماسية في مفهومها الأساسي تعني: «فن التفاوض من أجل مصلحة الوطن» إضافة إلى أنها أداة لتنظيم العلاقات الدولية عن طريق التفاوض والحوار، والدبلوماسية والسياسة الخارجية أصبح ـ كلاهما ـ مصطلحين لمفهوم القومية والوطنية، وهما انعكاس وامتداد للسياسة الداخلية.

ومن كل ما تقدم فإن على السياسة الخارجية للدولة السعي ـ سعياً متصلاً ـ لتحقيق الأهداف القومية التالية:

(أ) الأمن القومي:

ويضطلع، لتحقيق هذا الهدف، بإنجاز الإجراءات التي تحفظ وسلامة البلاد والعباد.

والسياسة الخارجية للدولة، بسفاراتها في الخارج هي نقاط الإنذار المبكر، وخط الدفاع الأول في التعامل مع المجتمع الدولي، لذا ينبغي أن تقوم البعثات بالخارج بمواجهة الأنشطة الهدامة; دحضاً للشائعات، وتوضيحاً للحقائق، وبناءً للعلاقات الحميمة مع الدول المضيفة ومواطنيها.

ومن وظائف السياسة الخارجية أن تجتهد في بسط علاقات دولية طيبة، مؤسسة على حسن الجوار والتعاون، وتجنب التوتر والصراع، وتوضيح أي سوء فهم في سياسات البلاد، ونزع الفتيل عن المواقف المتفجرة بالتفاوض والحوار، وعقد المؤتمرات واللجان المشتركة، والاتفاقيات والمعاهدات الأمنية والدفاعية، والتنسيق بين الدول النامية، وإقامة مشروعات نفع متبادل يفوت على الأعداء فرصة التآمر. أما في حالة الدول الصغيرة التي تصرُّ على التعامل مع الدول الكبرى ضد جيرانها، فلا مناص من أن تستخدم معها وسائل العنف والقوة، لتشعر بفداحة الثمن الذي سوف تدفعه في مقابل عدوانها ورضوخها لسيطرة دول أخرى للإضرار بأمن الجوار.

(ب) العلاقات الاقتصادية والاجتماعية:

إن التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة ضرورية لتحقيق الأمن والسلام، كما السلام والأمن ضروريان لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ولا يتم أحدهما إلا بتوافر الآخر. وفي عالم اليوم ـ الذي تطور فيه العلم والتقانة، ووسائل النقل والمواصلات والتسويق ـ يتحتم السعي الجادُّ للتعاون في المجالات الدولية، خاصةً الدول المتشابهة في مواجهتها ظروفاً متقاربةً ومشاكل مشتركة، مثل: الديون الخارجية، وقضايا الجفاف والتصحر والزراعة البدائية، والحاجة إلى التقنية، وهذا كله يتطلب التعاون في مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية مع المؤسسات والوكالات الدولية المتخصصة ومع دول العالم اجمع، مع مجانبة التعاون الذي يهدف إلى الهيمنة على القرار، الوطني، عبر شروط استعمارية.

التدابير الأمنية:

بما أن العوامل التي تهدد الأمن تشمل عوامل داخلية وعوامل خارجية، فإن التدابير يجدر أن تشمل أيضاً التدابير ببعديها: الداخلي والخارجي، على الوجه الآتي:

أولاً: التدابير الأمنية الداخلية:

ويدخل ضمن التدابير الأمنية الداخلية، كل ما أوردناه من مكافحة التجسس، وترسيخ الأمن الايجابي، وتحصين الجبهة الداخلية. ونضيف ـ هنا ـ التدابير الداخلية المتعلقة بمكافحة الغزو الأجنبي المسلح، والاضطرابات المسلحة المدعومة من الخارج، ونقتصر في ذكر هذه التدابير على التالي:

(أ) التعبئة والإعداد:

لما كان الغزو الأجنبي المسلح، ودعم الاضطرابات المسلحة يردان ضمن ما يُحتمل أن يسلكه الأعداء، صار لزاماً على الدولة المسلمة أن تقدر موقفها وحاجتها من العدة والعتاد لمواجهة هذا الاحتمال، وأن تعد قواتها المسلحة إعداداً جيداً، تدريباً وتأهيلاً وتوعيةً.

وعلى الدولة أن تحفز الجماهير ـ بالتعبئة ـ لدعم الجهد الحربي مادياً وبالمشاركة الفعلية في القتال إلى جنب القوات المسلحة; جهاداً في سبيل الله، فالفقهاء يقولون: أن العدو عندما يطأ أرض المسلمين فان الجهاد يصبح فرض عين على كل مسلم عاقل، بالغ، خال من الأعذار الشرعية. وينبغي على المجتمع أن يوفر الموارد الكافية للجهاد، وأن يساند المجاهدين معنوياً كما يعضدهم مالياً، يقول تعالى: ﴿وأنفقُوا في سبيلِ اللهِ ولا تلقُوا بأيديكُم إلى التهلكةِ وأحسنُوا إنَّ اللهَ يحبُّ المحسنين﴾(107)، ويقول تعالى: ﴿وأعدُّوا لهُم مَّا استطعتُم مِن قوة ومِن رباطِ الخيلِ ترهبونَ بهِ عدوَّ اللهِ وعدوكُم وآخرينَ مِن دونهِم لا تعلمونهمُ اللهُ يعلمهُم ومَا تنفقُوا مِن شيءِ في سبيلِ اللهِ يوفَّ إليكُم وأنتُم لا تظلمونَ﴾(108).

(ب) الجهاد:

إذا وقع غزو أجنبي مسلح، أو اضطراب امن البلاد بدعم من أجنبي، فعندئذ يجب الجهاد والقتال لحفظ الأمن والنظام وكف الخطر الخارجي. فالقتال هدفه إعلاء كلمة الله وحفظ الثغور والنحور والأموال. والجندية في الإسلام تكليف لأداء هذه الأهداف السامية، وليست مهنة لكسب القوت أو الارتزاق، وهي واجب يقوم به الجند كفاية عن المسلمين، ثم يشترك كل المسلمين في مدافعة العدو، إلا من أسقط عنه الإسلام هذا الواجب الجهادي لأعذار محددة.

فالله تعالى يقول: ﴿الذينَ أخرجُوا مِن ديارهِم بغيرِ حق إلاَّ أن يقولُوا ربنَا اللهُ ولَو لا دفعُ اللهِ الناسَ بعضهُم ببعض لهدمَت صوامعُ وبيعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يذكرُ فيهَا اسمُ اللهِ كثيراً ولينصرنَّ اللهُ مَن ينصرهُ إنَّ اللهَ لقويٌ عزيزٌ﴾[109]. ويقول تعالى: ﴿انفرُوا خفافاً وثقالاً وجاهدُوا بأموالكُم وأنفسكُم في سبيلِ اللهِ ذلكُم خيرٌ لكُم إن كنتُم تعلمون﴾[110].

ومن الواجب على الدولة المسلمة أن تهيئ الشعب كله، وتعده إعداداً عسكرياً ومعنوياً، فيتدرب على فنون القتال، ويتحلى بالتربية الدينية التي تحرضه على الجهاد، وتحثه على القتال والتواصي بالحق والصبر، والثبات عند اللقاء، وطاعة أولي الأمر، يقول تعالى: ﴿يَا أيهَا الذينَ آمنُوا إذَا لقيتُم فئةً فاثبتُوا واذكرُوا اللهَ كثيراً لعلكُم تفلحونَ. وأطيعُوا اللهَ ورسولهُ ولا تنازعُوا فتفشلُوا وتذهبَ ريحكُم واصبرُوا إنَّ اللهَ معَ الصابرينَ﴾[111].

والمسلمون يقاتلون دفاعاً عن قيم الحق، فان ترك العدو قتالهم ورجع عن أرضهم وكف عن أذاهم جانحاً إلى السلم، فالسلم غاية كل مسلم يقول تعالى: ﴿وإن جنحُوا للسلمِ فاجنَح لهَا وتوكَّل علَى اللهِ إنهُ هوَ السميعُ العليمُ. وإن يريدُوا أن يخدعوكَ فانَّ حسبكَ اللهُ هوَ الذي أيدكَ بنصرهِ وبالمؤمنين﴾[112].

ثانياً: التدابير الأمنية الفنية الخارجية:

أن من العهود أن تكون للدولة مؤسسات خارج الوطن، أهمها البعثات الدبلوماسية، ومنها مكاتب

خطوط الطيران، والمكاتب التجارية والاقتصادية، والمكاتب الاستشارية المختلفة. كما أن فئةً من المواطنين اغتربت عن الوطن لدواعٍ شتى ـ يقيم بعضها في بلاد غير إسلامية أو معادية للإسلام، فيتحتم على الدولة أن تهتم بهم عبر بعثاتها المنتشرة ومؤسساتها المختصة بشؤون المغتربين، لتبصيرهم بمكائد الأعداء، وبواجباتهم نحو أنفسهم وأهليهم، ونحو وطنهم، والبلد المضيف، ونحو أمتهم المسلمة وقضاياها.

ولما كانت البعثات الدبلوماسية خط الدفاع الأول عن الدولة، ومنذرها المبكر بمخططات الأعداء، فسوف نفرد مرشداً خاصاً بتدابير أمن البعثات الدبلوماسية، لتسترشد به كل بعثة في وضع مشروع الأمن الخاص بها، وفقاً لظروفها المحلية السائدة والإمكانات المتاحة لها.

الفصل الثالث

تدابير أمن البعثات

إن البعثات الدبلوماسية بالخارج تشكل المرحلة المتقدمة في الدفاع عن الوطن حيال أي استهداف خارجي، لهذا فإن أعماله تتسم ـ عادة ـ بالسرية المطلقة، فهي تتداول أثناء تأدية مهامها أسراراً إذا تسربت إلى أيدي أعداء الوطن هددت كيانه وأضرت بمصالحه الحيوية، وربما أودت به.

وبهذا المنظور أضحى لزاماً علينا وضع الإرشادات، والضوابط، والإجراءات التي تحقق حماية هذه البعثات وتأمين أنشطتها.

ولتنفيذ تلك الغاية النبيلة نضع هذا المرشد الذي توخينا فيه أن يكون شاملاً ومرناً، يؤخذ منه ويترك، ويُضاف إليه ويحذف، تبعاً لظروف الزمان، والمكان، ومقتضى الأحوال، وطبيعة المخاطر والتهديدات المتوقعة في موقع كل بعثة من البعثات.

والمقصود بأمن البعثات الدبلوماسية في هذا المرشد: جميع الإجراءات التي تُتخذ لحماية البعثات بالخارج من أخطار التجسس والتخريب المادي والمعنوي، وتحصين أفرادها من عمليات الاختطاف والاغتيال والابتزاز، وتحويل الولاء أو التجنيد بواسطة أعداء الوطن. وتشمل تلك الإجراءات المحاور التالية:

أمن منشآت البعثة الخارجية:

يُقصد به: مجموعة الإجراءات التي تتخذ لتأمين وحماية مباني البعثة وممتلكاتها ضد التخريب والسرقة، والحفاظ على سلامة المعدات والآليات والمركبات من التلف والضياع.

أمن معلومات البعثة الخارجية:

ويقصد به: مجموعة الإجراءات التي تتبع لحفظ وتأمين الوثائق والمعلومات التي تحمل درجة من السرية، وتشمل كل التدابير اللازم اتخاذها لطباعة وحفظ وتداول هذه الوثائق حتى لا تقع في أيدي من لا يخول لهم الإطلاع عليها.

أمن أفراد البعثة الخارجية:

والمعنيُّ به: الإجراءات التي تقي الأفراد من خطر الوقوع في قبضة مخابرات الدول الأجنبية، وتحمي أرواحهم وأسرهم من القتل والإرهاب والابتزاز، وتبصرهم وتنمي فيهم الحس الأمني لئلا يبوحوا ـ عن قصد، أو غير قصد ـ بمعلومات يضرُّ كشفها بمصالح البلاد.

أمن منشآت البعثة:

إجراءات أمن مبني البعثة:

ويُراعى فيها:

* أن تشغل البعثة مبني منفصلاً، في منطقة آمنة، ويُستحسن أن يكون في المنطقة التي تقطنها البعثات الدبلوماسية المثيلة، ولا يحبذ إيجار جزء في مبني كمقر للبعثة، إلا في حالات الضرورة القصوى، وفي هذه الحالة، يحسن اختيار أعلى جزء من المبني المشترك، والتحري عن الشركاء فيه.

* أن يُحاط المبني الرئيسي بسور قوي ومرتفع محصن بالسلك الشائك، إذا كان ذلك ممكناً، مع طلاء جدران السور الخارجي طلاءً لا يسهل معه تسلق السور، وان تقلل المداخل والمخارج ـ ما أمكن ـ ويُضاء السور الخارجيُّ والساحات الداخلية إضاءة كافية تساعد الحراس على المراقبة.

* أن يُخصص مدخل للسيارات ومدخل للأفراد، وأفراد مكتب للاستقبال، على ألا تُفتح الأبواب إلا بعد التأكد من أسماء الداخلين، وسبب الزيارة.

* أن تُزود البعثة بكاميرات مراقبة تلفزيونية لحصر التحركات والتأكد من هوية القادمين. كما ان من الأهمية بمكان تفتيش المبني ـ امنياً ـ خشية أن تكون هناك أجهزة تصنت أو تخريب، كما يلزم التأكد من قفل ثغرات مجاري المياه بأسلاك قوية لمنع التسلل من خلالها.

* أن توضع حراسة دائمة ومسلحة في مدخل البعثة، بالتنسيق مع السلطات المحلية، وان يُطلب تكثيف الحراسة ـ متى اقتضى الحال ـ والاستعانة بعناصر مؤتمنة ومدربة، للحراسة من الداخل.

* أن تكون مباني المكاتب بحالة جيدة، وتكون الأبواب والنوافذ متينة، وذات تأمين كاف من الحديد الصلب.

* أن يجري تغيير الأقفال على فترات، لضمان جودتها، ولكي لا تُقلد مفاتيحها، وعندما يشتبه في محاولة كسر أو فتح، فان من الواجب متابعة الحالة بدقة لمعرفة حقيقة المحاولة.

* أن تخصص أكثر غرف المبنى أماناً لحفظ الوثائق السرية، على أن يبذل فيها جهد إضافي لتصبح غرفة حصينة (strong room).

* تُخصص المباني الأرضية للعمل القنصلي والأعمال المتصلة بالجمهور، أما المباني الحصينة فتخصص العليا لمكتب رئيس البعثة والكاتب السري ومكتب اللاسلكي والشفرة.

* يُعين ضابط امن من العاملين في البعثة يكون مسؤولاً عن حرق المسودات والكربون وحفظ المفاتيح بمكان أمين، وحفظ نسخة واحدة من المفاتيح بالخزينة، ومنع تداول المفاتيح للحيلولة دون استخراج نسخ منها.

* توفر للمبني معدات إطفاء الحريق، والتأكد ـ حيناً بعد آخر ـ من صلاحيتها، وتدريب العاملين على استعمالها وكيفية إجراء الإنذار في حالة الاشتعال، ووضع هواتف الحريق في أمكنة بارزة لتيسير الاتصال، وتعيين من يتصلون بمكافحة الحرائق ـ حال حدوثه ـ ومن يؤمنون مفاتيح الكهرباء وفحص التأمينات والوصلات الكهربائية.

* أفراد غرفة لإجراء المقابلات تفادياً لإجراء المقابلات بمكاتب بها معلومات سرية.

* الاشتراك مع الشركات التي تختص بتأمين المباني وحمايتها، متى ما توفر ذلك، والاشتراك في التأمين ضد الأخطار.

* تزويد باب البعثة «بعين سحرية» ويكثف تأمين الباب الرئيسي الخارجي في حالة سكن البعثة في شقة ضمن المبني.

* تحديد موقف لسيارات البعثة يكون تحت حراسة دائمة، لتفادي التخريب والتفجير أو دس وسائل التصنت.

* مراجعة إجراءات امن المنشأة من حين لآخر، بطريقة دورية لتحسين إجراءات الأمن.

* تنمية الحسن بأمن المنشآت لدى العاملين بالبعثة وتكليفهم بالتبليغ عن أية ملاحظات في هذا الصدد.

* التأكد من وجود الإضاءة الكافية بالممرات داخل المبني، ليلاً، لمساعدة الحراس على المراقبة.

* عند ضياع المفاتيح، أو حدوث حادث امني، يُشكل مجلس تحقيق، وتخطر الرئاسة، ويجري ـ دون إبطاء ـ تغيير الأقفال، وان وجد المفتاح بعد ذلك.

* التأكد من تأمين أجهزة التهوية والتبريد ومفاتيح الكهرباء، قبل إغلاق المكاتب بنهاية الدوام الرسمي.

* ملاحظة خلو ساحات المبني والمكاتب وما حول السور من الأشياء الغريبة التي يحتمل أن تكون متفجرات، مثلاً، وكذا ملاحظة السُكان الجدد والمباني والأكشاك التي تقام بالقرب من المبني، وفحص المباني للكشف عن وجود أجهزة تصنت مخبأة في الجدران، أو أجهزة الهاتف، بمواقع العمل والسكن والمركبات.

أمن معلومات البعثة:

الطباعة:

* يجدر أن يخصص كاتب طابع في كل بعثة لطباعة الوثائق التي تحمل قدراً من السرية، يُفرد مكتب لطباعة الوثائق السرية، وتقام خزائن مؤمنة لحفظها.

* تُحدد درجة سرية الوثيقة بواسطة كاتبها ـ على المسودة ـ وتوضع درجة السرية عند الطباعة باللون الأحمر، في أعلى وأسفل كل صفحة بوسط السطر.

* تحدد في الوثيقة السرية درجة السرية، وعدد الصفحات والأصل، وعدد الصور المطبوعة وتوزيعها، ولا يجوز استنساخ صور إضافية منها، ويرقم كل أصل وصورة بما يسهل المتابعة في حالة التسرب.

* يغلق المكتب المخصص أثناء طباعة الوثائق السرية، ولا يسمح بدخول الأشخاص غير المصرح لهم بالإطلاع عليها.

* يراعى عدم المبالغة في إعطاء درجات السرية، فالوثيقة التي تستحق درجة «سري» لا تعطى درجة «سري للغاية»، لأن ذلك يضخم من عدد الوثائق ذات السرية القصوى، ويجعل إجراءات الأمن عسيرة وحفظ الوثائق صعباً، ويقتضي ذلك مراجعة الوثائق التي تحمل درجة سرية عالية لتخفيض درجتها، كلما زالت الدواعي، فتوقيتات تحركات الرئيس ـ مثلاً ـ تنتهي سريتها بانتهاء الزيارة، وبذات القدر يُراعي عدم التهاون في إعطاء درج سرية أقل لوثيقة ذات أهمية قصوى.

* تُباد المسودات، بالحرق أو التمزيق الدقيق، وتعامل أوراق الكربون وأشرطة ماكينة الكتابة التي كتبت بها الوثائق السرية معاملة الوثيقة نفسها، لاحتمال معرفة المعلومات السرية من خلال أوراق الكربون، وأشرطة ماكينة الكتابة، وإضافة إلى هذا تحرر شهادة بذلك.

* تُسجل كل الموضوعات السرية الواردة للطباعة في سجل خاص بها، وتسلم النسخ المطلوبة مع المسودة لكاتب الوثيقة، ولا يحتفظ كاتب الوثيقة بصورة منها أو بمسودته التي كتبها.

* عند وضع وثيقة تحمل درجة السرية القصوى داخل ظرف، توضع في ظرفين: يكتب على الظرف الدّاخلي «سري للغاية»، وعلى الظرف الخارجي «سري»، لئلا تلتفت الأنظار للوثيقة ذات السرية القصوى، وعندما يفضُ موظف الحقيبة الظرف الأول فان عليه تسليم الظرف الثاني «الوثيقة ذات السرية القصوى» للموظف المخول له بفضها.

* تُختم كل الوثائق السرية بالشمع الأحمر، ويكتب عليها درجة سريتها بشكل واضح.

* يحسن الاتفاق ـ مسبقاً ـ على من لهم سلطة وضع درجات السرية في الوثيقة، فعلى سبيل المثال، لا يضع درجة «سري للغاية» إلا السفير، أما درجة «سري» فيضعها المستشار ومن هم أعلى منه، ويمضي الأمر تباعاً على هذه المنوال. ويحسن أيضاً تحديد الأشخاص المخول لهم فضُ الوثائق السرية، بدرجاتها المختلفة.

* يُراعي توحيد أرشيف الملفات السرية مع أرشيف الرئاسة ـ ما أمكن ذلك ـ وبما ييسر إجراءات المراجعة والحفظ والتداول.

التداول:

* لا يسمح في تداول الوثائق السرية بنقلها لقراءتها بالمنزل أو طباعتها، أو لأي غرض آخر، بل تكون الوثائق السرية كلها مؤمنة بالمكان المعين المخصص لها.

* تُعاد الوثائق السرية لمكان حفظها في أقل وقت ممكن بعد الفراغ منها.

* يكون لكل وثيقة سرية سجل تاريخي يوضح تداولها بالتاريخ والزمن، ويوقع عليه ممن اطلع عليها، وممن هو مسؤول عن حفظها.

* لا تُقرأ الوثيقة السرية قراءةً جهرية، لاحتمال وجود أجهزة تصنُف.

* لا تترك المكاتب التي بها وثائق سرية مفتوحة في حالة خروج الموظف من مكتبه، بل تؤمن الوثيقة إلى حين عودته، وفي نهاية الدوام تُعاد الوثائق للأرشيف السري.

* لا يجوز تداول الوثائق السرية بواسطة السعادة وصغار العمال.

الحفظ:

* يُخصص مكتب في كل بعثة لحفظ الوثائق السرية (تقارير، خرائط، كروكيات، أفلام، أشرطة تسجيل، شفرة) ويكون المكتب مؤمناً التأمين الوافي، ويُختار أكثر المكاتب تحصيناً لهذا الغرض، وتتخذ إجراءات تأمين إضافية بتحسين الدواليب والأبواب والمنافذ فيه، وتوضع أحسن خزن البعثة به، على أن يخضع هذا المكتب لإشراف موظف يعينه رئيس البعثة، ويُشترط في هذا الموظف الأمانة والالتزام والحس الأمني، وإدراك جسامة مسؤولية أمن المعلومات.

* لا يُجهز بالأرقام السرية أثناء فتح الخزائن المتميزة بهذه الأرقام، خشية من أجهزة تصنت مخبأة.

* تُحفظ الأوراق ذات الديباجات الثابتة في مكان واحد مؤمن، لتفادي سوء استخدامها.

* تؤمن أختام البعثة بمثل تأمين الوثائق السرية، وتحدد أسماء الموظفين المسموح لهم باستخدامها وحفظها، ومن الواجب أن تُجدد الأختام من قبل الرئاسة، لدى جهة مؤتمنة، ولا يُسمح باستخراج نسخ إضافية منها كيلا تقلد، وتُباد الأختام القديمة عبر لجنة تقرُ إبادتها، وتحرر شهادة بذلك، وإذا فُقد الختم ـ ولو لفترة وجيزة ـ يجرى التبليغ فوراً، ويُشكل مجلس تحقيق لذلك، وتُخطر الرئاسة بالنتائج.

* عند وصول وفد رسمي إلى دولة، فان على البعثة الدبلوماسية فيها أن تنصح أعضاء الوفد بتسليم وثائقهم السرية لحفظها وتأمينها بدار البعثة، بدلاً من تركها بالفنادق ومقار السكن أو دور الضيافة، لأن ذلك يعرضها للفقدان أو الكشف.

* في الظروف الطارئة، مثل إغلاق البعثة أو إعلان الحرب، أو طرد البعثة، أو الاضطرابات العامة، تكون لجنة لإبادة الوثائق السرية، وتُكتب شهادة بذلك.

* تعامل دفاتر الصادر والوارد التي تدون فيها الوثائق السرية، بذات معاملة الوثائق السرية في الحفظ والتداول.

* بنهاية الدوام الرسمي اليومي يُشترط التأكد من أن كل الوثائق السرية قد أعيدت إلى أماكنها وجرى تأمينها، وأحرقت الأوراق المهملة والأوراق السرية، بأشراف الموظف المعين لهذا الواجب.

أمن الأفراد:

من الجدير بالاعتبار في أمن الأفراد ما يلي:

* أن ينال كل من يرسل للعمل بالبعثات، خارج البلاد، تدريباً أمنياً يمكنه من الإلمام بإرشادات الأمن، مع التركيز على المخاطر والتهديدات الأمنية الخاصة بالمنطقة التي سوف يعمل فيها، على أن يشمل التدريب إجادة الرماية.

* أن يجري التعرف على من سيعملون بالخارج، من حيث نقاط الضعف التي قد تجعلهم فريسة سهلة للمخابرات الأجنبية، خاصة جانب الأخلاق والسلوك العالم، إذ أن الاستقامة تعتبر صمام أمان ضد محاولات المخابرات الأجنبية.

*اختيار سكن مناسب من حيث توُفر وسائل الاتصال ونقاط الشرُطة، والابتعاد عن السكن في المناطق النائية والمعزولة.

* تجنب ارتياد الأماكن المشبوهة، مثل الحانات وأندية السُكر والميسر، وتوخي الحذر والكتمان وعدم البوح بالأسرار في كل مكان يُرتاد.

* تجنب الذهاب إلى رحلات في أماكن لا تتوفر فيها الحراسة أو النجدة.

* الابتعاد عن أماكن التجمعات التي يُحتمل حدوث شغب فيها.

* التأكد من هوية المتعامل معهم، والاحتراس من الصداقات العشوائية، خاصة أولئك الذين يسعون إلى التقرب ويحرصون عليه.

* الإبلاغ، فوراً، عن أي حدث يُشبه في أنه خطر على أفراد البعثة، وتلزم الاستعانة بسلطات الأمن المحلية في حالات الخشية مما يهدد أمن البعثة، وتبلغ الرئاسة بذلك.

* التأكيد من أحكام إغلاق وتأمين المداخل والمنافذ، وتوعية أفراد الأسرة بالإبلاغ عن أي حدثٍ غريب يُشتم منه ما يمكن أن يروع أمن البعثة وأفرادها.

* على البعثة طلب مساعدة السُلطات المحلية ـ عاجلاً ـ إذا غاب فردٌ أو مجموعة من أعضاء البعثة بصورة تدعو إلى القلق، وتُمدُ السلطات المحلية بتفاصيل كاملة تساعدها في التحري.

* يُعين المؤتمنون من المواطنين المحليين، عند الاضطرار، وحينئذ يقتضي الأمر فحصهم فحصاً دقيقاً، والتخير بين الجنسيات والاستعانة بالسلطات المحلية في فحص البصمات، والخلو من السوابق، ويجدر الحذر ـ بعد كل ذلك ـ في التعامل معهم، وعدم تمكينهم من الوثائق السرية، والمعلومات الهامة.

* الاحتراس عند التعامل مع الأجانب الذين تستعين بهم البعثة في الصيانة والاحتفالات العامة، كطباخين أو عمال.

* التّثبت من هويّة السكان الذين يجاورون موقع السّكن والعمل، وأولئك الذين تعقد معهم الأسرة صدقات عائلية.

* التأكد من تأمين السيارات عند تركها بالمواقف العامة ـ أو حتى عند وضعها بمرآب البعثة أو السكن ـ لتجنب السرقة أو التخريب، أو زرع أجهزة التنصت بداخلها.

* تراعي إجراءات إطفاء الحريق بموقع السكن، تماماً مثلما تُراعي في موقع العمل.

* المحاذرة في التحركات عند الشعور بتهديد أمني، وكسر النمطية المتبعة في أزمنة التحرك، وترك المعهود من الطرق، ومن الخير العودة المبكرة مساءً لمقر السّكن والإبلاغ الفوري عن الأحداث الغريبة، بعد مراقبة المتابعين لكشف هوياتهم.

* عند الاشتباه في رسالة ما بأنها رسالة ملغومة تُستدعى السُلطات المحلية قبل فتحها.

* الاهتمام بالتعاون والانسجام بين جميع العاملين في البعثة، واعتبار أمن البعثة مسؤولية كل فرد فيها.

* في حالات التهديد والاضطربات تُحاط التحركات وخطوط السير ونوايا السفر بالسرية القصوى.

* عند انفراط عقد الأمن بمنطقة التمثيل، واشتراك قوى الأمن المحلية في النهب والسلب، يُستحسن طلب جنود من الرئاسة، بالتنسيق مع الدولة المضيفة، أو طلب تسليم أعضاء البعثة للحماية الشخصية.

* تجنب استفزاز الآخرين، أو انتقادهم، خاصة رعايا الدولة المضيفة.

* انتهاج التعامل باحترام ونبل في المرافق المختلفة، وتقدير قوانين الدولة المضيفة، والتعامل مع سلطاتها بانضباط تام، وحمل الأوراق الثبوتية ورخصة القيادة في كل التحركات.

* عند التحرك خارج المدينة يجب إخطار البعثة، وإعطاؤها رقم الهاتف ووقت العودة المحتمل.

* عند اتصال شخص يدعى أن لديه معلومات أمنية تهم البعثة، أو البلاد، يتحتم التثبت من هويته ودوافعه في الإبلاغ بالمعلومات، ووسيلة حصوله عليها، والإصرار على معرفة أوراقه الثبوتية، وتدوين كافة المعلومات والتفاصيل عنه، وإبلاغ الرئاسة بتفاصيل ما حدث.

* عند حدوث تهديد عبر الهاتف أو البريد تخطر السُلطات المحلية فوراً.

* في مناطق الجاليات المعارضة، وفي حالة تجمع بعضهم لتسليم عريضة، مثلاً، فالأسلم إقناعهم باختيار ممثل عنهم، أو اثنين، لتقديم العريضة، وينبغي معاملتهم معاملةً حسنة، وفق الأعراف والخلق الإسلامي.

* في حالة الاضطرابات، والاضطرار لإخلاء الجالية، توضع خُطة مفصلة لإجراءات التحرك، تشمل: قوائم بأسماء أفراد الجالية وعناوينهم، وحصر أعداد النساء والأطفال والمرضى، وتحديد وسائل السفر والطرق، ومعرفة مناطق التجمع والتحرك والوثائق الثبوتية المطلوبة من كُل، والتنسيق مع السُلطات المحلية وسلطات البلد الذي سيتوجه إليه، والتنسيق مع الرئاسة في كل ذلك.

أمن وسائل الاتصال:

والمقصود به: الإجراءات التي تتخذ لحرمان العدو من الحصول على المعلومات السرية التي تبث عبر وسائل الاتصال، وهي: الحقيبة الدُبلوماسية، الشّفرة، اللاسلكي، الهاتف، الفاكس، ونتناول كلا منها فيما

يلي:

الحقيبة الدبلوماسية:

* يُعين رئيس البعثة أحد الموظفين الأكفاء، ليكون مسؤولاً عن استلام وتسليم وتجهيز الحقائب الدُبلوماسية يُسمى «ضابط الاعتماد» ويُصدر تكليفاً مكتوباً بذلك.

* ترسل الحقائب الدبلوماسية دائماً بالخطوط الجوية الوطنية، وإذا لم تتوفر الخطوط الوطنية ينتقى أضمن وسائل الطيران: من حيث قرب خط الطيران، وكفاءة الشركة الناقلة، والعلاقات السياسية مع الدولة التي تنتمي إليها الشركة.

* تُسلم الحقائب الدُبلوماسية وتُستلم، دون إبطاء، وعلى وجه أخصّ في حالة الحقائب الصادرة، كيلا تتعرض للعبث والفتح.

* عند استلام الحقائب الواردة من الرئاسة يجب التأكد من أن وزنها مطابق، وأن ختمها، والشمع المختومة به والرصاص، بحالة جيدة، ثم تفتح بمكتب رئيس البعثة، وتقارن المحتويات بكشف الحقيبة، وتبلغ الرئاسة ـ برقياً ـ عن أي خلل، ويشكل مجلس تحقيق في كل حالة يُشبه أن تسرب قد حدث فيها.

* إذا لم تصل الحقيبة في وقتها تبلغ الرئاسة فوراً، ويتحقق عن أسباب تأخير الوصول.

* لا تفتح الخطابات السرية إلا على أيدي المخول لهم بذلك.

* في حالة الحقائب الصادرة، تُخطر الرئاسة بإرسالها ويتثبت من الرد باستلامها. وقبل الإرسال يتثبت من توضيح محتوياتها بالنموذج المعد لذلك. وإذا تأخر إرسال الحقيبة تُخطر الرئاسة ـ برقياً ـ وتُحفظ الحقيبة المعدة في خزينة مؤمنة لحين إرسالها.

* إذا كانت الحقيبة لا تصل مباشرة إلى الرئاسة ـ بل يجري تسليمها لخط طيران آخر، أو لطائرة أخرى ـ يفضل أن ترسل الحقيبة للبعثة الدّبلوماسية الوطنية في تلك الدولة، لتتسلمها ثم ترسلها للرئاسة، حتى لا تبقى بالمطار فترة تعرضها لكشف محتوياتها.

* لا يسمح بإرسال الرسائل والطرود الخاصة، إلا بعد معرفة محتوياته ومرافقة رئيس البعثة وتوقيعه عليها.

* في حالة الحقائب «فوق العادة» التي ترسل في غير المواعيد المعتادة، أو لأهميتها الخاصة، تُخطر الرئاسة ـ برقياً ـ بتاريخ الشحن وموعد إقلاع ووصول الطائرة، والشركة الناقلة، ورقم السفرية.

* يلزم التقيد بقوانين البلد المضيف من حيث وزن الحقائب وشكلها، وهناك دول تحدد وزناً معيناً للحقيبة «عشرين كيلوجراماً» مثلاً، فإذا زاد الوزن تُحجز الحقيبة، وتعامل معاملة العفش (cargo) ، ما يجعل محتوياتها عرضة للكشف.

الشفرة:

* تُحفظ ماكينة الشفرة وكتبها ومفتاحها داخل خزينة مؤمنة، ولا تُخرج إلاٍ للاستخدام.

* تُحل الشفرات وترسل من مكتب مؤمن بواسطة موظف الشفرة المختص، دون أية قراءة جهرية للرموز، خشية ما قدمنا الحديث عنه.

* تُتلف أوراق المسودات ومحاولات الحل، عبر الموظف المختص، وتوضع درجة السرية المناسبة، وتعامل ـ تأميناً ـ وفقاً لدرجة سريتها.

* لا يُشار إلى معلومات وردت بالشفرة في البرقيات والرسائل غير السرية.

* تُباد مفاتيح الشفرة بعد استلام المفاتيح الجديدة، وتحرر شهادة بذلك ترسل للرئاسة.

* لا يجوز إصلاح ماكينة الشفرة بالبلد المضيف، بل تُرسل إلى الرئاسة في حالة العطبِ.

* يبلغ ـ فوراً ـ في حالة ضياع كتاب الشفرة، أو فقدانه لفترة، ويشكل مجلس تحقيق لتقصى ما حدث وأسبابه، وتُخطر الرئاسة بنتائج التحقيق.

* في حالة تعذُّر حل جزء من الرسائل الرمزية، لا يجوز إرسال ذلك الجزء بوضوح، بل تُعاد معاملته

بالشفرة من جديد ولا يشار إلى حل الشفرة بالهاتف.

اللاسلكي (التلغراف):

* يُوضح مكتب (اللاسلكي) في أعلى غرفة بالبعثة لتيسير الأداء وضمان سريته، ولا يُسمح بدخول المكتب إلا لمن يُسمح لهم بذلك.

* على ضابط اللاسلكي أن يتحلى بالحس الأمني في أداء واجباته، ويُستحسن تدريبه على أمن المعلومات، وخاصة أمن وسائل الاتصال.

* يجدر إتباع الطريقة الصحيحة عند فتح الواصلات، وتجنب الإطالة في النداءات ونداء لئلا يتنبّه من يريد الاستماع والتنصت.

* يراعي استخدام الاصطلاحات الرسمية المتفق عليها، والتثبت من أن المتحدث معه هو المقصود بالحديث.

* يحسن أن يجري الإرسال في أقل مدة ممكنة، كي ينتفي أي ترصد للرسالة.

* أن يُكتفي في الاتصال بالرسالة الرسمية، والبعد عن الثرثرة، وتجنب نقل الرسائل الشخصية، أو نقل أخبار البلد المضيف إلى الطرف الآخر.

* لا ترسل البرقيات الشخصية إلا بموافقة رئيس البعثة.

الهاتف:

* يستدعي التعامل مع الهاتف التدقيق في أنه غير مراقب.

* لا يستخدم الهاتف في تداول المعلومات السرية.

* إذا أبلغ شخص عن معلومة هامة أو حادث، فليسأل عن اسمه، وهويته، والمكان الذي يتحدث منه.

* يجب تنبيه الأسر لمراعاة خطورة الهاتف، وعدم تزويد الغرباء بأي معلومات حال السؤال عنها.

* من الضروري عند عقد الاجتماعات السرية بالمكاتب، فصل الهاتف وتشغيل جهاز راديو لتفادي التسجيل والتصنت.

* توضع الهواتف في أماكن مؤمنة، بعيداً عن المنافذ المطلة على الطرقات، لتجنب نيران القناصة في الحالات المضطربة، أو حالات التهديد الشخصي.

الفاكس:

* أن جهاز التليفاكس من الأجهزة غير المؤمنة ـ أصلاً ـ ويمكن التقاط رسائله، لذا يتوجب ألا ترسل المعلومات السرية عبره إلا إذا كانت للسرعة أولويةٌ على السرية، وهذه مسألة تقديرية.

* يمكن إضافة جهاز خاص يمنح جهاز الفاكس ميزة الشفرة ويصعّب عملية التقاطه، ومن الخير، إذا توفرت الإمكانات المالية، إضافة جهاز شفرة لجهاز التلفاكس.

* عند إرسال برقية بالفاكس يُذكر تدوين التاريخ والرقم، ودرجة السرية، إن وجدت.

* يحتفظ بدليل الفاكس الصادر عن الجهات المختصة بالبلد المضيف، لتسهيل الاتصال بالجهات التي يرغب في الاتصال بها، ولمعرفة الجهات التي اتصلت في حالة وصول معلومة أمنية أو هامة، لأن برقية الفاكس تحمل رقم الجهاز المرسل.

* يحفظ جهاز الفاكس في مكتب مؤمن، لاحتمال وصول برقيات في أثناء غياب الموظف المختص، وحتى لا يُعبث به.

إرشادات عامة:

* إن أمن البعثة مسؤولية كل فرد من العاملين فيها، وعلى رئيس البعثة وموظف الأمن المختص تأكيد ذلك في كل المناسبات، والإشراف على التقيد بتنفيذ إجراءات الأمن.

* على رئيس البعثة وموظف الأمن المختص العمل على تنمية الحس الأمني لدى أعضاء البعثة، بالتذكير تارة، والتوجيه تارة أخرى، وبالتدريب المتصل، ووضع الملصقات واللافتات المنبهة.

* من الأهمية بمكان، إرسال تقارير الأمن الدورية التي تحددها الرئاسة، موضحةً فيها سلامة إجراءات الأمن والاختراقات التي حدثت والإجراءات التي اتُّبعت لسد الثغرات الأمنية.

* ضرورة الاهتمام بوضع ميزانية مالية لأمن البعثة ضمن الميزانية السنوية.

* يُصدر رئيس البعثة، أو الموظف المختص، نشرات وتوجيهات أمنية لأعضاء البعثة لمواكبة الظروف المستجدة، كي يُستهدف بتلك التوجيهات في تجويد مشروع أمن البعثة.

* يستعان بالرئاسة لإجراء التفتيش الأمني والاستنارة برأيها في الحالات المستعصية.

الباب الثالث ..
المخابرات

الفصل الأول: مفهوم المخابرات وأهدافها
الفصل الثاني: مبادئ العمل الإستخباري
الفصل الثالث: عناصر الدولة والأمن القومي

الفصل الأول

مفهوم المخابرات وأهدافها

إنَّ غريزة حب البقاء لدى الإنسان وتوقه إلى الخلد والسّلطة والجاه، يدفعانه إلى البحث عمّا يحققها، والى توقع ما يخبئه المستقبل من مهددات بقائه وسلطانه وجاهه، ليدرأ ما يهدده.

وقد كان مدخل الشّيطان ـ عدو الإنسان الأول ـ هو الوسوسة إلى آدم وزوجه، بأنه يعرف ما يمكنهما من الخلد والملك الذي لا يبلي، وفي هذا دليل سبّاق على مكانة الخلود والسّلطة في النّفس البشرية ﴿فوسوسَ إليه الشيطانُ قالَ يا آدمُ هل أدلكَ على شجرةِ الخلدِ وملك لا يبلَى﴾[113].

ولقد ظل الإنسان منذ أقدم العصور يسعى إلى جمع المعلومات عما حوله من القوى الطبيعية والحيوانات، والقبائل المجاورة، والجماعات المنافسة له والمتخاصمة معه، ثم تطور الأمر إلى تحليل المعلومات والظواهر وتقويمها لتقدير ما يمكن أن يحدث في المستقبل. وبالطبع فان مصادر جمع المعلومات كلما كانت موثوقة، وطريقة تحليها وتقويمها خالية من الغرض والهوى، جاءت الاحتمالات أقرب إلى الواقع.

وتحدثنا كتب السيرة النبوية عن قصة الوليد بن عقبة الذي ابتعثه الرسول ρ على صدقات بني المصطلق، فرجع ليقول للنّبي ρ: إن بني المصطلق جمعَت لكَ لتقتلك، فبعث النبي ρ مصدراً ثقة هو خالد بن الوليد للوثوق من الخبر، فعاد ابن الوليد مؤكداً أن القوم متمسكون بدينهم، ويقول المفسرون، إن الآية الكريمة: ﴿يا أيها الذين آمنُوا إن جاءكُم فاسقٌ بنبأ فتبيَنُوا أن تصيبُوا قوماً بجهالَة فتصبحُوا علَى ما فعلْتم نادمِين﴾[114]، إنما نزلت في هذه الواقعة. وفي السيرة النبوية أمثلة نابضة تشير إلى اهتمام المسلمين ـ باكراً ـ برصد تحركات العدو، ونقل المعلومات المفصلة عنه، ثم الانقضاض عليه بثقة واقتدار مشهودين.

فقد حدثتنا السيرة عن خروج الرسول ρ مع بعض أصحابه يتعرف على أخبار قريش (فلقي سفيان الضمري، فقال رسول الله ρ: من الرّجل؟ فقال: بل من أنتم؟ قال رسول الله ρ: فأخبرنا ونخبرك، قال: وذاك بذاك؟ قال النبي: نعم، قال سلوا عمّا شئتم. فقال رسول الله ρ: فأخبرنا عن قرش، فقال: بلغني أنهم خرجوا في يوم كذا وكذا من مكة فان كان الذي أخبرني صادقاً فهم اليوم بمكان كذا وكذا ـ أو فإنهم بجنب هذا الوادي ـ قال رسول الله ρ: فأخبرنا عن محمد وأصحابه، قال: خبرتُ أنهم خرجوا من يثرب يوم كذا وكذا فإن كان الذي أخبرني صادقاً فهم بجانب هذا الوادي، قال الضمري: فمن أنتم؟ قال النبي ρ: نحن من ماء، وأشار بيده نحو العراق فقال: من ماء! أمِن ماء العراق؟ ثم انصرف رسول الله ρ إلى أصحابه، ولا يعلم أي من الفريقين بمنزل صاحبه). واستجوب الرّسول ρ غلماناً من قريش، فأخبروه أن قريشاً خلف هذا الكثيب، وأنهم ينحرون يوماً عشراً ويوماً تسعاً، وأعلموه بمن خرج من مكة فقال ρ: «القوم بين الألف والتسعمائة»، قال: «هذه مكة ألقت إليكم أفلاذ أكبادها».

وتحدثنا السيرة النبوية عن العديد من السرايا والبعوث والغزوات، منها سرية حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر لاعتراض عير قريش، وسرية عبد الله بن الحارث لمفاجأة المشركين على ماء يقال له: أحياء من بطن رابغ، وسرية سعد بن أبى وقاص، وغيرها من السرايا، التي كان منها ما يجمع المعلومات، ومنها ما كان لمباغتة العدو وأسره، أو لفظ تجمعات العدو وتفريقه.

وقصة أخرى: عندما وردت المعلومات عن أنّ بني قريظة قد نقضوا العهد فأرسل الرسول الكريم ρ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله ابن رواحة، وخوان بن جبير، وقال لهم: «إن وجدتم ما بغلنا منهم حقاً فألحنوا لي لحناً أعرفه ولا تفتوا في عضد المسلمين، وان كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس». إنّ في تفاصيل هذه القصة من دقة التعبير وتوخي الحذر ما يكشف عن قدرات هائلة من الدراية بفن العمل الإستخباري.

تعريف الاستخبارات:

المخابرات ـ وكثيراً ما يُطلق عليها «الاستخبارات» ـ هي الخطوات المدروسة لجمع شتى المعلومات بكافة الوسائل الميسرة، ثم فرزها وتصنيفها، وتحليلها، ثم إرسالها للجهات المناسبة، في الوقت المناسب، لتعيينها في وضع الاستراتيجيات، ورسم السياسات، واتخاذ القرارات الصائبة لحماية الدولة من أخطار الأعداء.

ويتضح من هذا التعريف أنّ هناك خمس مراحل تشتمل عليها العملية الإستخبارية هي: الجمع، فالفرز، فالتصنيف، فالتحليل ثم التوزيع. ومراحل الفرز والتصنيف والتحليل هي مراحل متصلة ومتناسقة، ولا يتم أي منها بمعزل عن الأخريات. وسوف نشرح كل مرحلة من هذه المراحل على حدة.

أهداف المخابرات:

تهدف المخابرات إلى:

* الحصول على معلومات عن جميع الأهداف المتعلقة بالدولة المعادية، أو المحتمل عداؤها.

* إخفاء المعلومات السرية المتصلة بالسياسات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والدبلوماسية.

* مكافحة الجاسوسية المضادة وإحباط أعمالها.

* القيام بأعمال ايجابية ضد العدو، معنوياً ومادياً.

دورة العمل الإستخباري:

تمر المعلومات في العملية الإستخبارية عبر أربع مراحل لكي تتحول إلى مخابرات، فيما يُسمى دورة المخابرات (intelegence cycle) ، وهذه المراحل الأربع هي:

جمع المعلومات: (collection)

تستق المخابرات معظم معلوماتها من الوسائل العنلّية، مثل: الصحف والمجلات ووسائل الإعلام المختلفة، ومن الكتب والتقارير والبحوث. وهنالك قدر يسير ـ لا يتجاوز العُشر ـ يُستقي من عمليات جمع المعلومات السرية. وعادةً ما يُستخدم في الجمع السري: العملاء، والمصادر الموالية، كما تُستخدم الآليات والتقنيات العالية. والمصطلح الفني الإستخباراتي لجمع المعلومات سراً هو: «التجسس».

تنظيم المعلومات: (collation)

تأتي مرحلة تنظيم المعلومات مباشرة بعد عملية جمع المعلومات. ولربما تحدث العمليتان في آن واحد، وعندئذ يُطلب من جامع المعلومات تنظيمها.

والتنظيم هو تبويب المعلومات الواردة على أساس الموضوعات، وإعطاؤها درجة السرية المناسبة، والتاريخ، وذكر المصادر، وتسجيل المعلومات وحفظها بطريقة يسهل استرجاعها والإفادة منها، وتسخر في ذلك الوسائل التقنية، مثل: التصوير المصغر (micro film) ، والحاسب الآلي وغيره من التقنيات الحديثة.

التحليل:

عندما يطلب صانع القرار تقرير مخابرات عن موضوع معين ـ أو عندما ترى أجهزة المخابرات أن ترفع تقريراً عن موضوع معين ـ يقوم المحلل بطلب كل المعلومات المنظمة المتاحة، ليجري عليها ما يشبه عملية البحث الأكاديمي. وليس بالضرورة أن تكون كل المعلومات متوفرة، إذا غالباً ما تكون هناك ثغرات واسعة، ويكون انتظار بيانات إضافية، ساعتئذ، ضرباً من إضاعة الوقت، خصوصاً حين يكون الشّأن عاجلاً .

وعملية التحليل الإستخباري تبدأ بتعريف المشكلة، أي تحديد ما هو مطلوب، ثمّ تسمية المعلومات الأساسية التي يتطلبها الموضوع، ثم يلي ذلك البحث في الملفات الموجودة لدى المحلل للحصول على المعلومات الأساسية المتاحة، واستكمال النقص من الأرشيف العالم للمخابرات. ويلي هذه المرحلة، مرحلة تقويم المعلومات، وهي مرحلة الحكم على البيانات الموجودة أمام المحلل حُكماً مجرداً، أي الإجابة عمّا إذا كانت المعلومات منسجمة مع البيانات والمعلومات الأخرى المعروفة، وهل تتماشي البيانات مع الإحصاءات والمعطيات المألوفة أم لا؟.

ويستدعى الأمر أن يتحلى المحلل بالموضوعيّة وألا يرفض أية معلومات جديدة تتناقض وتقويماً سابقاً أعدّه، أو معلومات سابقة متواترة، بل يلزمه أن يراجع المصادر المختلفة التي وفدت منها المعلومات، فلربما كان منها ما يعمد إلى التضليل ببث معلومات مزيف ذات مصدر واحد ولكنّ ناقليها متعددون. وعلى المحلل أن يراجع المصادر، ودرجة مصداقيتهم ـ التي تكون عادة، مرفقةً مع المعلومات ـ ثم كيفية الحصول على المعلومة: هل عن طريق السماع؟ أم النظر أو التصوير؟ أو غير ذلك. وبعد ذا يعد تحليله بتوضيح الحقائق، مسنودة بالبراهين، ثم تفسيراته للمعلومات والبيانات، على أن يفصل تماماً بين الحقائق، والاستنتاجات، والتعليق، ثمّ له أن يُورد فقرةً منفصلة عن أية توصيات يراها.

التوزيع:

يُقصد بالتوزيع: إرسال المخابرة إلى الشخص، أو إلى الأشخاص الذين يحق لهم استلامها لتمنحهم من المعرفة ما يمكنهم من القيام بواجبهم ومسؤوليتهم بكفاءة.

ومن المفروغ منه أنّ المعلومات يجب أن تصل إلى الشخص المناسب، في الزمن المناسب، فالمعلومات التي تصل قبل الحدث بزمن طويل، أو التي تصل بعد وقوع الحدث، تقلُ قيمتها، وربما تنتفي تماماً، كما يجب أن تصل المعلومة إلى صانع القرار في المكان المناسب، إذا كان له أكثر من صفة رسمية، بمعنى: أن تبلغه في الموقع ذي الصلة بالمعلومة ـ أو المعلومات ـ المحددة.

الفصل الثاني

مبادئ العمل الإستخباري

يشتمل العمل الإستخباري على المبادئ التالية:

المعرفة على قدر الحاجة:

وهو مبدأ هام يقصد به إلا تُمنح المعلومات السرية إلا لمن تُحتم طبيعة واجبه المكلف به استخدام هذه المعلومات السرية، وتحجب عمّن سواه، مهما كانت درجة حرصه على الدّولة، ومهما تعاظم مقدار الثقة فيه. فكثيراً ما يُفضي الخلل إلى الأجهزة الأمنية بانتشار المعلومة بين العديد ممن يوصفون بأنهم مطلعين على بواطن الأمور ـ بمقتضى الانتماء إلى السّلطة فكراً وعقيدة ـ وقد يكون سعى أمثال هؤلاء نابعاً من حرصهم على أمن الدولة وصحة مسيرتها، أو لغير ذلك من الأسباب الخيرة، وهنا يكمن الخطر الوبيل. ولقد وجهنا الرسول الكريم ρ لكي نتجنب عواقب ذلك إلى ترك ما لا يعنينا: «حسبُ امرئ تركُ ما لا يعنيه إلى ما يعنيه». وفي حديث آخر: «من حُسن إسلام المرء تركهُ ما لا يعنيه». وحجب المعلومات السريةً، وقصر إفشائها على ذوي الاختصاص، أدعى إلى حفظها، وأحجى بتحقيق الحذر المطلوب الذي أمر الله تعالى به: ﴿يا أيهَا الذينَ آمنوا خذُوا حذركُم...﴾[115].

السرية:

ونعني بها: «كتمان المعلومات التي إذا نالها العدو أضرت بالصالح العام».

وجلى من هذا التعريف أن سرية المعلومات تتحقق بكتمانها، ولا يكون ذلك إلا باتخاذ الإجراءات الصارمة في نسخها، والاعتماد على أهل الثقة في ما يُستنسخ منها، وإتلاف ـ أو التحفظ على ـ المسودات ومواد الطباعة التي كتبت عليها المعلومات السرية، والحد من تداولها وحفظها في حرز حريز، ففي الحديث الشريف: «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان». وسوف نفصل في باب الحديث عن أمن المعلومات نماذج عن السرية وأمن المعلومات، وردت في الكتاب المجيد، والسيرة المطهرة، وفي التراث الإسلامي عامة، ونكتفي هنا بالقول: أن مبدأ السرية مبدأ هام طبقه النبي عليه السلام خير تطبيق في بداية الدعوة، وعند هجرته من مكة إلى المدينة، وفي غزواته، وفي حله وترحاله.

ولنأخذ مثالاً على كيفية تطبيق مبدأ السرية في الإسلام، من غار حراء الذي كان الرسول ρ يتعبد فيه سراً، ثم ما تبع ذلك من مرحلة كانت أشبه بمرحلة «المعرفة على قدر الحاجة»، حين طلب إلى النبي أن يخاطب بالدعوة عدداً محدوداً من الناس: ﴿وأنذِر عشيرتكَ الأقربينَ﴾[116]، فقد انحصرت المعلومة «الخطيرة» في نحو ستين شخصاً آنذاك، ربعهم، تقريباً، كان من النساء.

وقد أولى الرسول ρ أهمية كبيرة في أول أيام دعوته لمفهوم السرية، إذ كان يجتمع بأصحابه في دار «الأرقم بن أبي الأرقم»، التي كان من أسباب اختيارها:

* أن الأرقم لم يكن معروفاً بإسلامه، فما كان يخطر ببال قريش أن يتم لقاء محمد وأصحابه بداره.

* أن الأرقم من قبيلة بني مخزوم التي تنافس، وتحارب، بني هاشم، وهذا يعني أن الاجتماع السري كان ينعقد في قلب صفوف العدو.

* أن الأرقم كان فتى في السادسة عشرة من عمره، وحين تُفكر قريش في البحث عن مركز التجمع الإسلامي لن يخطر ببالها أن تبحث في بيوت الناشئة من الفتيان.

ولقد كانت دار الأرقم مثالاً ممتازاً «للبيت الأمن» في عرف الأمن، ذلك الامتياز الذي شمل بالسرية كل الأفعال قبل الهجرة، فحتى الصّلاة كانت تُصلى ركعتين ركعتين، وكان الرّسول ρ إذا صلى يحرسه علي بن أبي طالب، أو زيد بن حارثة، وقد تأخر إعلان العبادة حتى أسلم عمر رضي الله عنه.

الولاء، والإخلاص، والطّاعة:

إن من أخطر العناصر على الأمن أولئك الذي يدينون بالولاء لجهة خارجية، وهو ولاء إما أن يكون مدفوعاً بحافز العمالة لتلك الجهة، أو بواعز الإعجاب بأسلوب أهلها ومنهجهم والولع بتقليده، أو التذلل لنفوذ الوسائل التي تستخدمها أجهزة المخابرات للسيطرة على عملائها. قال تعالى: ﴿يَا أيهَا الذينَ آمنُوا لا تتخذُوا عدوّي وعدوكُم أولياءَ تلقونَ إليهم بالمودةِ وقَد كفرُوا بمَا جاءكُم من الحقِ يخرجونَ الرسولَ وإياكم أن تؤمنُوا باللهِ ربكم إن كنتُم خرجتُم جهاداً في سبيلي وابتغاءَ مرضاتي تسرونَ إليهم بالمودة وأنَا أعلمُ بمَا أخفيتم ومَا أعلنتُم ومَن يفعلهُ منكُم فقد ضل سواءَ السبيلِ. إن يثقفوكُم يكونُوا لكُم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهُم وألسنتهُم بالسوءِ وودّوا لو تكفرُونَ﴾[117].

ولذا كانت وحدة الولاء وانحيازه الكامل لوحدة المؤمنين وديارهم شرطاً حاسماً للسلامة من الكيد الخارجي: ﴿يا أيهَا الذينَ آمنُوا إن تطيعُوا الذينَ كفرُوا يردوكُم على أعقابكُم فتنقلُبوا خاسرينَ﴾[118]. ويجيء التحذير مبيناً: ﴿ولَن ترضَى عنكَ اليهود ولا النصارَى حتّى تتبعَ ملتهُم قُل إنّ هدَى الله هوَ الهدَى ولئنِ اتّبعتَ أهواءهُم بعدَ الذي جاءكَ مِن العلمِ ما لكَ مُن اللهِ مِن ولِي ولا نصِير﴾[119].

الانضباط، والبعد عن مواقع الشُّبهة والفتنة:

يبحث العدو دائماً عن العناصر التي يعتروها الضّعف والميل إلى الفساد، فيستغلّها ويجندها لتعمل لصالحه.

وخير ضمانة من الوقوع في حبائل العدو، اختيار العناصر المنضبطة، ذات التّدين الذي يحملها على مراقبة الله، أو ذات الوازع الوطني الذي يحضها على التمسك بمبادئ الفداء والتضحية.

وتظل تلك العناصر في حاجة مستديمة إلى التدرب لترقية الحسن الأمني والتزكية بالورع والتقوى، ثم تكثيف الضوابط لمراقبة أي انحراف، والمحاسبة والتأديب إزاء أي تجاوز.

وتجيء تلك الإجراءات ضماناً للسرية، وتحقيقاً للعدالة، وبسطاً لحرية الناس، تلك التي تفرضها الامكانات الوافرة التي يتمتع بها رجل الأمن دون سائر المواطنين، وإطلاعه على كثير من الأسرار والمعلومات بحكم ذلك، وفي هذا فتنة تزين له ارتكاب الفواحش والمحرمات أو إيذاء الناس وابتزازهم والاستهتار بحرماتهم، لذا كان لزاماً أن يحاط النظام الأمني وأفراده ـ بعد الكفاءة المهنية والضوابط الأخلاقية ـ برقابة شعبية، وأن يُعبأ الشعب كله بوعي أمني، ليبسط رقابته على أعمال الأعداء، وعلى انحراف المنحرفين من رجال الأمن الذين تسول لهم أنفسهم استغلال سلطاتهم وإمكاناتهم.

صعوبات إنتاج المخابرات:

الوقت:

إن أهمية الوقت ذات قيمة عظمى في إنتاج المخابرات: سواء في مرحلة الجمع، أو التحليل، أو التوزيع، فكثيراً ما يكون العمل في هذه الحالة شبيهاً بالبحث العلمي، خاصةً في القضايا التي تبحث في أحداث المستقبل واحتمالاته، إذ يمكن تلافي أي نقصان في المعلومات، بتكليف مصادر مطلعة للبحث وتكملة تلك المعلومات. ولكن في كثير من تقديرات المخابرات يطلب متخذوا القرار تقريراً إستخبارياً عاجلاً ـ أو ربما تطلبت الظروف إجراء ذلك التقدير ـ نسبة إلى دواعي الأهمية والاستعجال. وقد درجت العادة، في هذه الحالات أن يتغاضى محللو المخابرات عن الدقة المتناهية في جمع المعلومات، وفي التنبؤ، ليبني التقدير على أساس المعلومات المتوافرة، وهذا أجدى من معلومات وتقديرات مفصلة تأتي بعد فوات الأوان، إذ يتقدم هنا مبدأ المواءمة الزمنية على الدقة.

الدقة:

إن العمل الإستخباري يعتمد على تقدير نوايا العدو ليتنبأ بما سوف يفعله، وتعتمد التنبوءات على المعلومات الإستخبارية، وهي معلومات تنهض على دقة المصادر، وعى مدى نفاذ العدو عبر الخداع وتسريب المعلومات المضللة. ولتخفيف هذا الأثر وضع نظام تصنيفي فعال للمصادر ـ حسب دقتها ـ فترفق ورقة المصدر مع المعلومات، حاوية درجة مصداقيته، التي يعبر عنها بصيغة مثل: (موثوق به جداً، أو موثوق به عادةً، أو موثوق به.. الخ). ويتفادى خداع العدو بمطابقة الأحداث مع مجريات الأمور، وبتعدد المصادر، والحذر في تصديق المعلومات، واختبارها بمحاولة دحضها، وانتظار معلومات أخرى تؤكدها.

الموضوعية:

كثيراً ما تدخل في معلومات الاستخبارات المصلحة الشخصية ـ أحياناً ـ والتحيز المهني من قبل محلل المعلومات، بدافع انتمائه وولائه للدولة، أو بسبب أن معظم المعلومات تعتمد على الوصف والتقدير لا على الحقائق العلمية المجردة. ويمكن التقليل من عدم الموضوعية بالعمل المؤسسي، وبتدريب العاملين وتنبيههم إلى خطر غياب الموضوعية، وهي أشدّ فتكاً من تقبل تحليل منطقي يفضي إلى حقائق مُرة ومحبطة.

السرية غير المبررة:

برغم أهمية السرية في عمل الأمن، فانّ لها آثاراً ضارةً وسلبيةً أحياناً، فالسرية غير المبررة في العمل الإستخباري، قد تؤدي إلى حجب المعلومات عمن يمكنهم إثراء التحليل والتقييم، إضافة إلى أنها قد تضيع إمكانية الاستفادة من مظان ومؤسسات علمية تفيد في مجال البحث والتحليل بإضافة حقائق جديدة. وللتغلب على هذه العقبة يلزم انتقاء مجالس متخصصة، تتكون من أشخاص موثوق بهم، وإتاحة الفرصة لعرض المعلومات على جهات أوسع، للإفادة من الآراء المختلفة، مع موازنة قيمة السرية والمعرفة على قدر الحاجة، بالفائدة التي تعود من هذا الإجراء، لذا فإن السرية وسيلة لا غاية، وهي أسلوب يُلجأ إليه عند الضرورة، والضرورة هنا مسألة تقديرية بحسب ظروف البيئة والسرعة، أمّا الغاية من السرية فهي الوقاية والأمن.

فداحة الأخطاء:

قياساً إلى حساسية عمل المخابرات وخطورة نتائجه، فإن الأخطاء الكبيرة تغدو قاتلةً، على عكس ما هو متعارف عليه من البحث العلمي، الذي يعد الخطأ فيه إحدى تجارب التعلم، بينما ينجم عن أخطاء المحللين والباحثين الإستخباريين كوارث ربما تودي بحياة الناس وتطيح بأنظمة وتمحو دولاً بأكلمها ومجتمعات. ولتفادي فداحة الأخطاء يجب الاستناد إلى الحقائق، والدقة في فحص المعلومة، والسرعة في اتخاذ القرار.

الوضوح:

أن الخوف من الأخطاء، وتهيب المواقف، وضيق الوقت، كلها مواقف قد تلجأ بعض محللي المخابرات إلى حذر مقيت، مما يضطرهم أحياناً إلى تقديم تقديرات تشرع الأبواب أمام كل الاحتمالات، خشية من طرح آراء وتقديرات جريئة وقاطعة.

وتلافياً لقرارات مبهمة ومرتبكة، يحسن أن يلتزم المحللون داخل المؤسسة الإستخبارية بمصطلحات فنية واضحة للتعبير عن كل حالة على حدة، سواءٌ في مرحلة تجميع المعلومات، أو في فرز الحقائق في الاستنتاجات والآراء، كما يحسن أن تقيم المصادر بمصطلحات معروفة.

ومن بعد ذلك، لا مناص من الالتزام بالوضوح والموضوعية والاختصار والدقة، ثم عرض كل احتمالات ما قد يحدث من وقائع ـ دون أدنى تردد ـ عند رفع التقديرات إلى متخذي القرارات.

أنواع المخابرات:

تنقسم المخابرات إلى قسمين رئيسيين، هما:

* المخابرات الايجابية الهجومية.
* المخابرات السلبية الوقائية.

فالمخابرات الايجابية الهجومية تشمل:

* نشاط المخابرات الايجابي، للحصول على المعلومات عن طريق التجسس، والمراقبة، والمتابعة.
* القبض على الجواسيس، وتحويلهم إلى عملاء مزدوجين، أو تقديمهم للمحاكمة.
* القيام بأعمال التخريب وتدمير منشآت العدو.
* انتهاج الحرب النفسية بما تشمله من أعمال الدعاية والشائعات.

أما المخابرات السلبية الوقائية فتشمل:

* إجراءات الأمن والسلامة التي تقوم بها الدولة لتحقيق الأمن، مثل: الأسلاك الشائكة، ووسائل الإنذار، وإجراءات حفظ المعلومات السرية، ومشروعات الأمن الداخلي، وإجراءات أمن المنشآت وأمن الأفراد.

* مقاومة التآمر والتمرد والنشاطات الهدامة.

والمخابرات الإيجابية والسلبية ـ كلتاهما ـ تغطي كل أنشطة الدولة، إذ نجد المخابرات العلمية، والمخابرات الحربية، والمخابرات السياسية، والمخابرات الاستراتيجية. ولكل من هذه المخابرات موضوعات متخصصة تبحث فيها، وتعمل في مجالها.

الفصل الثالث

عناصر الدولة والأمن القومي

إن من بديهيات علم العلاقات الدولية، الاحتكام إلى عدد من المؤتمرات، بوصفها المحددات الرئيسة لمدى قوة الدولة أو ضعفها. فكل دولة تسعى إلى معرفة عناصر قوتها لتعزيزها، ونقاط ضعفها لتتلافى القصور، ليس هذا فحسب بل إن الدول لتسعى إلى معرفة نقاط القوة ونقاط الضعف لدى الآخرين، لرسم وتخطيط سياسة أمنها القومي في السلم والحرب. وقد أجمع المختصون بشؤون الأمن والاستراتيجية على ضرورة دراسة أهم هذه المؤثرات وتحليلها، ونعرضها هنا على النحو الآتي:

المؤثرات الجغرافية:

إن للمساحة، والموقع، تأثيراً هائلاً على الدولة من حيث قدرتها على الدفاع عن نفسها والتوزيع الاستراتيجي لقواتها. ويبدو ذلك جلياً في حالات العدوان الخارجي، والاضطرابات الداخلية، ومكافحة التهريب وغير ذلك من الواجبات الأمنية. كما يؤثر الموقع في التماسك السياسي، وفي اقتصاد الدولة: من حيث الإنتاج والتصدير والاستيراد.

ولحجم الدولة وموقعها تأثيرهما في البنيات الأساسية، كالطرق والمطارات ووسائل الاتصال، وشكل الإدارة، وطريقة التعاون بين المدن والأقاليم المختلفة. ويؤثر الموقع كذلك في علاقة الدولة بالدول المجاورة، سواءٌ في مجالات التعاون أو مجالات التنافس والصراع، خاصة وان استراتيجيات الدول الكبرى تنطلق من إدراك كبير لقيمة المواقع الاستراتيجية في العالم والمعابر المهمة المؤدية إليها كالبحر الأحمر، والبحر المتوسط، والخليج العربي، وكلها ممرات مائية يلي العالم الإسلامي منها نصيب لا يدانى في إمكانية جعلها ممرات آمنة تفيض فوائدها وثمراتها عن حدود المسلمين، إلى رحابة العالم كله.

وللتضاريس الطبيعية أهمية بالغة في الأمن القومي، فالجبال والصحارى والوديان والغابات والأنهار، كلها يمكن الاستفادة منها كمناطق استراتيجية لإقامة المنشآت الحيوية، حتى يسهل الدفاع عنها. والتمتع بالموانع الطبيعية يقلل من الاعتماد على نشر القوات المسلحة، ويجعل من نقاط المراقبة بديلاً ناجعاً للتغطية والإنذار المبكر، وتحديد أضعف النقاط للانطلاق بالهجوم منها.

وللمناخ والتربة ـ وهما من المعطيات الجغرافية الأساسية ـ أثرهما الجلي في الإنتاج الغذائي، والنشاط البشري.

ولقد كان العلامة العربي عبد الرحمن بن خلدون من أوائل الذين تنبهوا لتأثير المناخ في العمران والحضارة، من منطلق مشاهداته الأقاليم الباردة والحارة، وملاحظته نمط الإنتاج فيها.

ولفصول السنة، كذلك، أهميتها الأمنية، إذ يحتمل أن يمارس فيها العدو ـ الخارجي أو الداخلي ـ ضغوطاً عسكرية أو اقتصادية، مستغلاً مواسم الجفاف أو مواسم هطول الأمطار في القيام بعدوانه.

وإضافة إلى تلك المؤثرات، تبرز قيمة الموارد الطبيعية بما تشمله من أنواع المعادن، ومصادر الطاقة، وليس بخاف أن الضغوط على الدولة ـ أية دولة ـ تقل باطراد مع تعاظم مواردها الطبيعية، فيما لو أحسنت الدولة استغلال تلك الموارد.

المؤثرات السكانية:

يعد عنصر السكان من أكثر العناصر تأثيراً في الأمن القومي للدولة خاصة وانه العنصر المباشر في إفرازه النوازع البشرية التي تشكل تاريخ المجتمعات.

ويعتبر سكان أية دولة عاملاً فعالاً في حفظ الأمن القومي، من منطلق تجانسهم وتماسك أعراقهم وثقافاتهم، وعلى العكس من ذلك الدول التي تعاني من تمزق التركيبة السكانية، وتنافر هويات المواطنين ومنازعهم، يشاهد ذلك بوضوح في الدول التي تعصف بها الحروب الأهلية والإحن والثأرات.

ويتداخل عنصر السكان مع غيره من عناصر الدولة، فيتبدى جليا في الدول ذات التعداد السكاني الكبير والأوعية الاقتصادية الضيقة، حيث يسود الفقر والمجاعات وتكثر الهجرات الداخلية والخارجية ـ تبعاً لذلك ـ

فتضعف القيم الأمنية. بينما يعتبر عدد السكان الكبير عاملاً مميزاً في الدول المتقدمة، لأنه يسند تلك البلاد بالموارد البشرية المتقدمة فيسود الإنتاج والعمران، وتقوى الروابط الأمنية بين أفراد المجتمع. كما يتداخل عنصر السكان مع العنصر السياسي، فيهب الدول شكلها القيادي وحدودها السياسية، ونمط الحكم فيها.

المؤثرات السياسية:

تجيء «الأفكار» في مقدمة المعطيات السياسية المؤثرة في الأمن القومي ـ ببعديه الداخلي والخارجي ـ وهو أمر منطقي، لأن الأفكار السياسية عُرفت ـ منذ القدم ـ بأنها المنبع الأول للتوجهات والأفعال السياسية.

وتنتج الأفكار السياسية آثارها في مجال الأمن القومي من منطلق اعتناق أفراد الأمة مقولاتها، ونهوضهم بتبعات تطبيقها في مقام الأداء السياسي. وفي الدول المتميزة باعتناق أبنائها أفكاراً سياسية متجانسة، يُعهد قدرٌ وافر من التجانس الفاعل في الرؤى والمؤسسات الأمنية، غير ان هذا البعد يتجسد ـ فقط ـ إذا كانت الأفكار السياسية أفكاراً مبدعة، متوائمة والبناء الاجتماعي للدولة، مواكبة التطورات فيه، وفي هيكل المجتمع الدولي، فإذا انتقى ذلك كله، تمسى الأفكار السياسية داءً ينخر في جسد المجتمع حتى يهترىء فتسقط الدولة، ما شاهدنا في كثير من أنحاء العالم، وعلى وجه الخصوص في أوروبا الاشتراكية، التي انهار الأمن فيها وخنقتها الحروب الأهلية مباشرة بعد انهيار الأفكار الشيوعية.

ثم يجيء ـ بعد الأفكار ـ دور «المؤسسات السياسية»، التي يرتبط الأمن، وشيجاً، بنجاحها في تأطير الأفكار السياسية تنظيمياً، وبمقدرتها في تمثيل الحراك الاجتماعي، بمفاعلاته الروحية، والقبلية، والطائفية، وبنجاحها في تكوين أجيال جديدة، من الزعامات، وباستفادتها من المنظومات الجماهيرية، كجماعات الضغط، والرأي العام، والاتحادات، والنقابات، وبتماسكها في شؤون إدارة البلاد ـ مركزياً أو لا مركزياً ـ وفي اتخاذ القرارات الداخلية والخارجية.

وبرغم تقديمنا الحديث عن البعد الخارجي للأمن القومي، فان من الأهمية الحديث، هنا، عن السياسة الخارجية للدولة، بوصفها مناط تحديد الأهداف والتوجهات والأدوار، التي تشكل في مجملها رؤى الدولة وأنشطتها إزاء المجتمع الدولي، بوعي أمني يشمل مجمل القضايا التي تتعلق بالعنف الخارجي، والأحلاف، والأسلحة، وقضايا البيئة الدولية، سواء منها الاجتماعية: كالسكان والجرائم، أو الاقتصادية: كاتفاقيات التجارة الدولية، والمعونات، والديون والمصارف العالمية، أو المفاهيم السياسية: كمفهوم الإرهاب ـ مثلاً ـ وتباين النظرات إليه ـ أو القضايا البيئية: كسياسات حماية البيئة، وغير ذلك من القضايا التي يُرتجى، عادةً، من السياسة الخارجية للدولة أن تدركها، وتساهم بنشاط وحكمة في تشكيلها، وتفادي ما يُحاك فيها من مؤامرات ودسائس ربما أفضت إلى انهيار أمني في مجتمع الدولة.

المؤثرات الاقتصادية:

أن من أهم عناصر قوة الدولة، تمتعها بثروات اقتصادية وفيرة، وأداء اقتصادي فعال. ويبدو واضحاً أن ثمة فرقاً بين أن تحظى الدولة بثروات اقتصادية وأن تكون ذات ناتج اقتصادي ممتاز. وهذه التفرقة يقتضيها منظور الأمن للمتغيرات الاقتصادية المؤثرة فيه، إذ كلما جمعت الدولة بين الثروات الاقتصادية والأداء الفعال تقلصت عنها ـ إلى حد الانعدام ـ الضغوط الخارجية التي كان يمكن أن تهددها فيما لو حفلت بثروات اقتصادية دون أداء ناجز، كما هو مشاهد في كثير من دول العالم المتخلفة. وتقلُّ الضغوط الخارجية ـ ولكنها لا تنتفي ـ في حالة الدول الشحيحة الموارد، الناجحة أداءً، مثل اليابان التي تُذهل العالم بإنتاجها المعجز، ولكن سياساتها الداخلية والخارجية تتأثر كثيراً بافتقارها إلى مدخلات الإنتاج من الموارد الطبيعية ـ كالمعادن والنفط ـ الأمر الذي اجبرها على المحاذرة في سياستها الخارجية استجابة لضغوط معروفة تتبعها إزاءها دولة كالولايات المتحدة الأمريكية منذ الحرب العالمية الثانية.

ويردُ بعد ذا دور المؤسسات الاقتصادية التي يرتبط امن الدولة بأدائها، كما يرتبط بمدى قدرة الدولة على تخطى معضلات الفقر، وضغوط الديون الخارجية، وتجميد الأرصدة، والمنح والمعونات، التي تصفد اليوم خطى دول عديدة لم تستطع الفكاك من شباكها التي نسجتها القوى الاقتصادية الكبرى، سواء منها الوحدات الدولية الاقتصادية أو منظمات المجتمع الدولي السياسة، أو الشركات العظمى ـ كالشركات المتعددة الجنسية ـ التي صار بعضها بمثابة حكومات عالمية تملى شروطها وتفرض رؤاها وسياساتها على كثير من الدول الصغيرة في عالم اليوم.

المؤثرات العسكرية والأمنية:

يمكننا القول أن عناصر الدولة مع ما تحمله ـ قوة أو ضعفاً ـ من تداخل وارتباط وثيق بينها، فانه يظل لبعضها ثقله المقدر ـ أكثر من سواه ـ في منح الدولة مكانها من المجتمع الدولي.

ومن العناصر الأشد تأثيراً في ذلك: العنصر العسكري والأمني، باعتباره معطىً مباشراً في ترسيخ الاستقرار وصونه، لتستطيع المعطيات الأخرى أداء سياساتها بفاعلية وكفاءة، ولهذا فان السياسات العسكرية والأمنية ينبغي لها دائماً ان تشمل ما يلي:

* دراسة حجم وتكوين قوى الأمن المختلفة، ومعرفة حجم القوات المسلحة، ونسبة توزيعها على الأسلحة المختلفة: مشاةً وبحرية وطيراناً، والأبعاد التنفيذية، والقدرات القتالية والإدارية والروح المعنوي، والمهارة العسكرية.

* التأكد من ملاءمة التنظيم والتسليح للأهداف القومية، ولإمكانات الدولة الاقتصادية، ولطبوغرافية الأرض، وسعة الجسور وقدرتها على التحمل.

* الاطمئنان إلى المخزون الاستراتيجي من الأسلحة والذخائر، وفق التهديدات المتوقعة واحتمالات استمرار الاضطرابات والحروب، والاطمئنان أيضاً إلى سبل الإمداد والتخزين.

* زيادة الخبرة القتالية لدى الجنود: بدراسة المعارك السابقة، وتحليل الدروس المستفادة منها، والاستفادة من خبرة المتقاعدين في المعاهد والمدارس العسكرية.

* تنظيم التعبئة: بالتعرف على حجم القوات الاحتياطية، ومستوى كفاءتها، وحدود الوقت الكافي لاستدعائها إلى الخدمة، والأصدقاء الذين يمكن الاستعانة بهم مع الاستيثاق من قدرة الدولة على التعبئة المستمرة.

* حفز الإنتاج الحربي، وتوفير المواد الأساسية والوسيطة اللازمة للإنتاج، وتحقيق إمكانية التحول من إنتاج مدني إلى إنتاج حربي، ومن حربي إلى مدني، حسب مقتضى الأحوال.

* المشاركة في الأحلاف العسكرية ـ بعد التعرف على أنماط الأحلاف ـ والاتفاقات السياسية والعسكرية، واثر الاتفاقات في القدرة القتالية للدولة، وما إذا كانت تلك الاتفاقات تتضمن قيوداً خفيةً ربما تصفد خطى الدولة في مقبل أيامها.

الباب الرابع ..

التجسس

الفصل الأول: مفهوم الجاسوسية

الفصل الثاني: إجراءات مكافحة التجسس

الفصل الثالث: تأمين الجاسوسية

الفصل الأول

تعريف الجاسوسية

يعتبر التجسس من أقدم الأنشطة الإستخبارية التي مارسها الإنسان. فكتب التراث العالمي التي بين أيدينا تفصح عن مقدرات فطرية في مجال التجسس، شهدتها منذ سحيق الأزمان أروقة السياسة، وبلاطات الأباطرة والأكاسرة، ومنتجعات النبلاء، وميادين الحروب التي ما فتئت البشرية تزيدها كل يوم اتساعاً على اتساعها.

وقد تطور التجسس في عصرنا هذا، وأصبح من الممارسات اليومية التي تعتمد عليها الدول في حماية أمنها، وتطوير صناعاتها، بل وفي التعامل مع أصدقائها. وتتجسس الدول اليوم على منافسيها، فتجمع المعلومات السرية والعلنية عن مصادر القوة ومواطن الضعف لديهم: في السياسة والاقتصاد، وعن درجة الوعي والروح المعنوي في المجتمع، وحركة الجند، والقوة العسكرية، وعن تجمعات الدول الصديقة وتحالفاتها، وإلى أي مدى تتكامل المصالح ـ أو تتناقض ـ ساعة يحين التحالف بين دولتين صديقتين ضد طرف ثالث.

ولقد أصبح التجسس أكثر خطراً، بتأثير التقدم التقني، الذي وفر أجهزة ومعدات غاية في الدقة، وصغر الحجم، ودرجة الكفاءة في التصنت، والاستشعار من بُعد.

وبما أن الدول الكبرى تحوز اليوم ـ وحدها ـ قصب السبق في عالم التجسس ومعداته، لتجسد خطراً على العالم الإسلامي لا تخطئه عينٌ، فان على الدول الإسلامية وضع الخطط البصيرة بتبديد مخاطر التجسس، في عالم يمور بالمكر والدهاء، ويموج بالكراهية والثأرات.

الجاسوسية لغة:

التجسس: هو اللمس باليد، وجس الخبر: أي بحث عنه، وتجسس الأمر: أي تفحصه وتطلبه وبحث عنه. والتجسس: هو التفتيش في بواطن الأمور، كما يفعل الطبيب المداوي، ويقال: جس الأرض جساً: وطئها. ومنه قول المتنبي في وصف الأسد:

يطأُ الثرى مُترفقاً في تيهه *** فكأنه آس يجـسُّ عليـلاً

وجاء في لسان العرب: أن الجساس هو الأسد، لأنه يؤثر في فريسته ببراثنه. والتحسس (بالحاء)، هو أيضاً طلبُ الأخبار والبحث عنها. وهو بنفس معنى التجسس. وقيل: أن التجسس (بالجيم) أن يطلب المعلومة لغيره و(بالحاء) أن يطلب المعلومة لنفسه. وقد جاء في التنزيل الحكيم ﴿ولا تجسسُوا﴾[120]، أي لا تبحثوا عن عورات المسلمين. كما ورد في قوله تعالى: ﴿يا بنيَّ اذهبُوا فتحسسُوا مِن يوسفَ وأخيهِ﴾[121].

الجاسوسية اصطلاحاً:

التجسس: اصطلاحاً، هو: البحث والتنقيب عما يتعلق بالعدو، من معلومات سرية باستخدام الوسائل السرية والفنية، ونقل ذات المعلومات بذات الوسائل، أو بواسطة العملاء والجواسيس، والاستفادة منها في إعداد الخطط.

أما الجاسوسية قانوناً، فهي: العمل سراً وبادعاء وهمي للاستيلاء ـ أو محاولة الاستيلاء ـ على معلومات سرية بقصد إبلاغها إلى جهة معادية.

وقد نصت اتفاقية «لاهاي» لعام 1907، على محاكمة المتهم بالجاسوسية، والحكم عليه بما يتناسب مع ما قام به من جرم، وان بلغ الحكم حدَّ الإعدام. وعرف القانونُ الدولي العام الجاسوس بأنه: «الشخص الذي يعمل في خفية، أو تحت ستار مظهر كاذب، في جمع ـ أو محاولة جمع ـ معلومات عن منطقة الأعمال الحربية لإحدى الدول المتحاربة، بقصد إيصال تلك المعلومات لدولة العدو». وقد وردت لفظة «الجاسوس» في اللغة العربية بمعنى «المعين»، وربما يعود ذلك إلى أن مهام الجاسوس تعتمد كثيراً على حاسة النظر، وهو ما ذهب إليه الإمام الشوكاني حين قال: (إن الجاسوس يسمى «عيناً» لأن عمله بعينه، أو لشدة اهتمامه بالرؤية واستغراقه فيها، فكأن جميع بدنه صار «عيناً»). ولو شهد العرب القدماء هذا الزمان وعاينوا ما وصلت إليه أجهزة التجسس والتحسس من تطور، لابتدعوا للجاسوس اسماً غير العين يشمل الحواس الخمس كلها، يتعداها إلى ما هو فوق الإدراك الحسي.

التجسس من وجهة نظر القانون الدولي:

لقد نصت المادة «التاسعة عشرة» من لائحة «لاهاي» للحرب، على الآتي:

يُعدُّ جاسوساً، ذلك الذي يعمل سراً، أو من وراء ستار زائف، للحصول على معلومات في منطقة العمليات، بنية تبليغها الفريق الخصم. وطبقاً لذلك فان العسكريين ـ بزيهم الرسمي ـ حين يتسللون إلى منطقة عمليات جيش العدو، بغية الحصول على معلومات، لا يُعدُّون جواسيس، ومثلهم أولئك العسكريون الذين يُكلفون علناً بمهمة تسليم مكاتبات إلى جيشهم، أو إلى جيش العدو، ويتضمن هؤلاء من تنقلهم السفن الجوية بغية تسليم مكاتبات، أو بغية المحافظة على الاتصالات فيما بين الأجزاء المختلفة من جيوش أو مناطق. واعتباراً لما تقدم فان الفيصل هنا هو: «قصد الحصول على معلومات».

ورغم اهتمامه البالغ، فان القانون الدولي لم يعالج الجاسوسية في زمن السلم، واكتفى بإلزام جميع الدول أن تحترم مناطق سيادة الدول الأخرى، وتأسيساً على ذلك، فإن إنشاء الدول أجهزة مخابرات سرية للتجسس ومكافحة التجسس ـ داخل حدودها ـ مسموح به دولياً في أوقات السلم كما في أوقات الحرب. وقد منح القانون الدولي كل دولة الحق في أن تسنن من القوانين ما يعالج ذلك، وان تطبق القانون على مواطنيها، وعلى الأجانب الذين يرتكبون جريمة التجسس، غير أنه يُستثنى من ذلك الدبلوماسي المعتمد لدى الدولة ـ وان قام بنشاط اعتبرته الدولة نشاطاً تجسسياً ـ ولكن يمكن للدولة أن تعبر عن استيائها بطرده وإعلانه «شخصاً غير مرغوب فيه» (persona non grata png)، لأنه قام بعمل غير ودي، أو أن تطالب دولته بسحبه ـ دون إعلان ـ ولها أن تتركه: عملاً بالحكمة العربية القائلة بأن «الشيطان الذي تعرفه خيرٌ ممن لا تعرفه the devel you know ، وفي عرفنا الإسلامي لا خير في شيطان البتة، ولكن الجاسوس المتكشف يوفر وقتاً كبيراً ينفق في تحديده منذ مرحلة الشك إلى مرحلة الاستيقان من انه جاسوس. ويلجأ بعض الدول إلى مساومة الدبلوماسي الجاسوس ليعمل عميلاً مزدوجاً، أو ليطلب اللجوء السياسي إذا كان الوضع في بلاده لا يشجعه على العودة.

رؤية إسلامية للتجسس

إن الأصل بين المسلمين ألا يتجسس بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿يَا أيهَا الذينَ آمنُوا اجتنبُوا كثيراً منَ الظنِ إنَّ بعضَ الظنِ إثمٌ ولا تجسسُوا ولا يغتَب بعضكُم بعضاً أيحبُّ أحدكُم أن يأكلَ لحمَ أخيهِ ميتاً فكرهتموهُ واتقُوا اللهَ إنَّ اللهَ توابٌ رحيم﴾[122]. وبهذا، فإن التجسس منهي عنه بنص القرآن، ولا يجوز للأفراد أو الدول ترصد أحد أو التلصص عليه.

والتجسس ـ كغيره من المحظورات في الإسلام ـ لا يُباح إلا للضرورة القصوى، فيباح إذا كانت الحاجة إليه ضرورة للدفاع عن حرمة أو درء خطر اكبر. أما الإطلاع على عورات الناس وخصوصياتهم، والتعدي على حرياتهم وأسرارهم الخاصة، فلا يجوز، مهما تذرعت الدول وأجهزتها بدعوى الصالح العام، وغيره من المبررات.

وقد تُضطر الدولة إلى اتخاذ نظام للرصد والرقابة والتجسس، لئلا يفاجئها العدو الخارجي المتخذ له جواسيس وعملاء لمعرفة الأسرار وتخريب المنشآت، وبث روح التخاذل والتمرد بين المواطنين. فمثل هذا النشاط الهدام يضطر الدولة المسلمة ـ حتماً ـ لابتكار أساليب الرصد والمكافحة الناجعة في الوقاية من الفتن والعثرات. ولكن هذه الإجراءات يُشترط أن تكون محكومة بقوانين شرعية، تضبط حركة أفراد الأمن وأجهزته، وتحدد سلطاتهم، وإجراءاتهم، فلا تفتيش ولا اعتقال دون أمر قضائي شرعي، يراعي الحرمات والخصوصيات، فلا يروع آمناً في مسكنه أو ماله أو عرضه، ولا يعاقب أحداً ألا ببينة وتثبت أمام القضاء، قال تعالى: ﴿يَا أيهَا الذينَ آمنُوا إن جاءكُم فاسقٌ بنبأ فتبينُوا أن تصيبُوا قوماً بجهالة فتصبحُوا علَى ما فعلتُم نادمِين﴾[123] وجاء في الحديث الشريف: «من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا موؤودةً من قبرها».

ويجوز للدولة إزاء العناصر المعادية والأجنبية ما لا يجوز لها إزاء المواطنين والرعية. فالتجسس على الأعداء عمل مشروع ـ مطلقاً ـ وهو ضرورة من ضرورات الحرب، ندب رسول الله ρ من يؤديه من صحابته الإجلاء، كحذيفة بن اليمان، ونعيم بن مسعود، وعبد الله بن أنيس، وخوات بن جبير، وعمرو بن أمية، وسالم بن عمير، وغيرهم. وبذا، فان المسلمين مكلفون باستطلاع أخبار العدو ومواطن ضعفه، ومواقع آلياته، وحركة جنده، ويعتبر ذلك كله جهاداً في سبيل الله، يجزى فاعله خيراً: ﴿ولا ينالونَ مِن عدو نيلاً إلاَّ كتبَ لهُم بهِ عملٌ صالح﴾[124].

أما التجسس غير المشروع فهو التجسس الساعي إلى فضح عورات الناس، وهتك أستارهم، أو المدفوع بالتشفي والحقد، أو النابع من حب الاستطلاع وحده. وقد جاء في الحديث الشريف: «أنك أن اتبعت عورات

الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم».

الفصل الثاني

إجراءات مكافحة التجسس

أولاً: تماسك الجبهة الداخلية:

إن مقاومة التجسس تقضي بتوعية المجتمع ليكون كلُّ فرد فيه حذراً ويقظاً بمخططات الأعداء، والمحافظة على الأسرار، وهي أماناتٌ، يقول الله تعالى عنها: ﴿يَا أيهَا الذينَ آمنُوا لا تخونُوا اللهَ والرسولَ وتخونُوا أماناتكُم وأنتُم تعلمونَ﴾[125]. وكل هذا يستدعي أن تكون الجبهة الداخلية متماسكة، «بعضهم أولياء بعض»، لا يوالون عدواً، ولا يُسلمون نصيراً، قال تعالى: ﴿يَا أيهَا الذينَ آمنُوا لا تتخذُوا عدوي وعدوكُم أولياءَ تلقُونَ إليهم بالمودةِ وقَد كفرُوا بمَا جاءكُم مِن الحق﴾[126] وتماسك جبهة المؤمنين أمر رباني: ﴿والمؤمنونَ والمؤمناتُ بعضهُم أولياءُ بعض يأمرونَ بالمعروفِ وينهونَ عن المنكرِ ويقيمونَ الصلاةَ ويؤتونَ الزكاةَ ويطيعونَ اللهَ ورسولهُ أولئكَ سيرحمهمُ اللهُ إنَّ اللهَ عزيزٌ حكيمٌ﴾[127].

ولنا مثل أعلى في تعاضد المسلمين على عهد رسول الله ρ. ففي موقعة بدر ـ والنبي ρ يستشير أصحابه ـ قال له المقداد بن عمرو «فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغمام لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه». وقال سعد بن معاذ: «امض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، وأنا لصبرٌ في الحرب صدقٌ في اللقاء». والمؤمنون ـ وهم يعتصمون بحبل الله ـ لا ترقهم الشائعات، ولا يُضعف عزمهم التخذيل والأراجيف: ﴿الذينَ قالَ لهمُ الناسُ إنَّ الناسَ قَد جمعُوا لكُم فاخشوهُم فزادهُم إيماناً وقالُوا حسبنَا اللهُ ونعمَ الوكيلُ﴾[128]. وقال تعالى: ﴿ولمَّا رأَى المؤمنونَ الأحزاب قالُوا هذَا مَا وعدنَا اللهُ ورسولهُ وصدقَ اللهُ ورسولهُ ومَا زادهُم إلاَّ إيماناً وتسليماً﴾[129].

ثانياً: وقاية الثغور والنحور

وهو ما يختص بأمن الأفراد وأمن المنشآت وأمن المعلومات ووسائل الاتصال وكافة الإجراءات الأمنية التي تحقق الوقاية من تجسس الأعداء. وقد قال العرب قديماً «الواقية خير من الراقية». وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالوقاية والحيطة والحذر: ﴿يَا أيهَا الذينَ آمنُوا خذُوا حذركُم فانفرُوا ثُبات أو انفرُوا جميعاً﴾[130]. وقد حرص الرسول الكريم ص على تحقيق الوقاية ووضع الجند في مواقعهم، وهو ما أشار إليه الكتاب المبين: ﴿وإذ غدوتَ مِن أهلكَ تبوئ المؤمنينَ مقاعدَ للقتالِ﴾[131].

ثالثاً: اكتشاف جواسيس العدو

تبدأ مرحلة اكتشاف الجواسيس بتلقي معلومات تثير الشك باحتمال تورط شخص ـ أو أشخاص ـ في شبكة تجسس، أو عمالة لصالح العدو. وتقوم أجهزة مكافحة التجسس، عادة، بوضع خطة لرصد وتحديد الأشخاص والأهداف المشتبه فيها، ويشمل ذلك: رصد المشتبه فيه، ومتابعة الأجانب الذين يقومون بأعمال كستار لأعمالهم التجسسية، مثل الستار الدبلوماسي أو التجاري، وغيرها من الأعمال، وغالباً ما يرصد هؤلاء من واقع القضايا التي سبق أن تورطوا فيها في بلاد أخرى جرى طردهم منها أو محاكمتهم فيها. كما تجيب الأجهزة الأمنية عما إذا كان هناك تناقض بين ما يدعيه الجاسوس من عمل مشروع وبين ممارسته؛ انطلاقاً من الوقائع غير المتجانسة في نشاطه ـ كألا تتناسب السن مع الدرجة الدبلوماسية التي يتولاها، أو ألا ينُم عن تمرس بالموضوع أو المهنة التي يتخذها غطاء، أو لاهتمامه بمواقع المعلومات السرية في الدولة، أو لإقامته علاقات مشبوهة مع بعض العاملين في المواقع الحساسة ـ فأمثال هذه السلوكيات تضع الشخص في دائرة الشك، وتدفع إلى إخضاعه للتحري.

وبعد أن يوضع شخص ـ أو جماعة ـ في دائرة الاشتباه، تبدأ مرحلة من المراقبة والمتابعة اللصيقتين، وبحذر وافٍ، لئلا يشعر «الهدف» بأنه مراقب، وهو غالباً ما يكون جاسوساً ماهراً ومدرباً على أساليب كشف المتابعة، أو أساليب تضليل فرقة الرقابة فلا يبدى ما يشعرهم بأنه يعلم مراقبتهم. وتُختتم عمليات المتابعة والمراقبة الناجحة بالقبض على الجواسيس متلبسين بجرمهم، لتبدأ مرحلة الاستجواب والتحري.

رابعاً: التحري والاستجواب

والتحري لغة، هو: قصدُ الأفضل، والأحرى: الأفضل والأجود، وفي القرآن الكريم: ﴿فمَن أسلمَ فأولئكَ تحرَّوا رشداً﴾[132].

أما اصطلاحاً، فإن التحري يقصد به: تجميع المعلومات من المصادر كافة للتعرف على فحوى القضية وحدودها.

وتتم عملية التحري في العمل الإستخباري بواسطة الإجراءات التالية:

السجلات:

ويعني هذا الإجراء الرجوع إلى المعلومات المجمعة ـ سلفاً ـ في الأرشيف أو لدى الأجهزة المحلية الأخرى.

المراقبة:

وتشمل النمط الذي يجري بواسطة فرق المراقبة، أو ذلك الذي يتم عبر الأجهزة الالكترونية، وعادة ما يوضع عميل أو أكثر، تحت هذه المراقبة لكشف تفاصيل نشاطه.

العملاء:

يُزرع العملاء، إما بتجنيد أحد العاملين ضمنهم، أو أن يُدس مندوب من الجهاز كطعم.

الاستجواب:

يجب أن يكون الشخص الذي يقوم بالاستجواب ذكياً، ذا بديهة حاضرة، ومدرباً على فن الاستجواب، ومُلماً بالقضية التي يعالجها، وألا يسمح للمتهم بأن يغرقه في سيل من التفاصيل والمعلومات الثانوية عديمة القيمة، وأن يستعين بمستجوبين آخرين، إذا اقتضاه الأمر أن يلم ببعض المعلومات الفنية المتخصصة، كما أن عليه التثبت من المصدر ودقة معلوماته.

خامساً: كسب الجاسوس كعميل مزدوج (double agent)

تحرص أجهزة الأمن، أحياناً، على ألا تفصح عن قبضها الجواسيس، بل تحرص على كسبهم ليعملوا لصالحها ضد العدو نفسه، وذلك بالضغط على الجاسوس عبر ما ارتكبه من جرم. وفي هذه الحالة، يلزم الحذر في التعامل مع العميل المزدوج، ليكون مفيداً في نقل المعلومات التي تريد الأجهزة الأمنية أن يعرفها العدو، تضليلاً له.

وأولى مراحل التعامل مع الجاسوس بعد القبض عليه تتمثل في معرفة كل التفاصيل المتعلقة بعمله مع العدو: جُند تجنيده، وما الأهداف المكلف بها، ومن هم أفراد شبكته، وما هي وسائل الاتصال بينهم، ورئاسته، ومصادره الرئيسة والفرعية، وما تمكنوا من الحصول عليه من المعلومات السرية حتى لحظة القبض عليه، وأساليب عمله. وبناء على ما تقدم تجري الموازنة بين إمكانية استغلاله كعميل مزدوج، أو فتح بلاغ ضده، ثم تقديمه للمحاكمة.

التجسس الايجابي:

هو وسيلة مهمة للحصول على المعلومات عن العدو بواسطة الجواسيس والوسائل السرية الأخرى.

ونظراً إلى أهمية المعلومات عن الأعداء ـ في حالتي الدفاع والهجوم ـ نجد كل دول العالم تهتم بالتجسس لجمع المعلومات.

والإسلام، برؤيته المتكاملة للأشياء، يأمر المسلمين بإعداد العدة: ﴿وأعدُّوا لهُم ما استطعتُم مِن قوة ومِن رباطِ الخيلِ ترهبونَ بهِ عدوَّ اللهِ وعدوكُم وآخرينَ مِن دونهِم لا تعلمونهمُ اللهُ يعلمهُم﴾[133]. ويقتضي الإعداد في مجال التجسس الإيجابي، تكوين نظام تجسسي على الأعداء، لمعرفة أحوالهم ونقاط قوتهم ومواطن ضعفهم ونواياهم، استعداداً لإحباط مخططاتهم.

وجمع المعلومات عن الدول والممالك الأخرى قديم قدم الدول والممالك. ويحدثنا القرآن الكريم عن قصة سليمان بن داوود عليه السلام مع الهدهد وملكة سبأ فيقول: ﴿وتفقدَ الطيرَ فقالَ ما لي لا أرَى الهدهدَ أم كانَ مِنَ الغائبينَ. لأعذبنهُ عذاباً شديداً أو لأذبحنهُ أو ليأتيَنّي بسلطان مبين. فمكثَ غيرَ بعيد فقالَ أحطتُ بمَا لم تحِط بهِ وجئتكَ مِن سبأ بنبأ يقين﴾[134].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ρ بعث عشرة، عيناً، في غزوة بدر يتجسسون له.

ولقد كانت للرسول عليه السلام عيون من القبائل العربية الأخرى، فقد أرسل عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي ليأتيه بأخبار عما بلغه من نوايا قبائل هوازن وثقيف، فدخل فيهم وعرف أمرهم ثم جاء إلى الرسول ρ فأطلعه على خبرهم، قال جابر بن عبد الله: إن رسول الله ρ أمر عبد الله بن أبي حدرد أن يقيم فيهم وقال له: «اعلم لنا من علمهم»، فأتاهم فدخل فيهم، وأقام فيهم يوماً أو يومين، حتى سمع وعلم ما قد اجمعوا عليه من حربه ρ وسمع ما هم عليه، وقد انتهى إلى خباء مالك ووجد عند رؤساء هوازن فسمعه يقول لأصحابه: أن محمداً لم يقاتل قوماً قط قبل هذه المرة، وإنما كان يلقى أقواماً أغراراً لا علم لهم بالحرب، فيظهر عليهم، فإذا كان السحر، فضعوا مواشيكم ونساءكم وأبناءكم من وراءكم، ثم صفاً، ثم تكون الحملة منكم، واكسروا جفون سيوفكم، فتلقونه بعشرين ألف سيف مكسورة الجفون، واحملوا حملة رجل واحد، واعلموا أن الحملة لمن حمل أولاً.

تكوين النظام التجسسي:

يُوجد في العمل التجسسي نظامان هما:

نظام الخط الواحد:

ويتكون، عادةً، من شخصين، هما: ضابط المخابرات والعميل الأساسي، ويربط بينهما تعهد بعمل إستخباري نظير ما يتلقاه العميل من مقابل. ويقوم الضابط بتدريب عميله وإرشاده لمعرفة الأخطاء ونقاط الضعف، وكيفية إقامة وسائل الاتصال المأمونة، وإدارة العمل وتشغيله، وهنا يكمن النجاح، أو الفشل الذي ـ غالباً ـ ما تكون عواقبه وخيمة، إذ ربما يلجأ العميل إلى الجهلة المعادية.

وتهتم المخابرات اهتماماً كبيراً بالسيطرة على العميل بوسائل قوية ومستمرة، ومن أهم الوسائل التي تستخدمها المخابرات العالمية، الجرم المشهود الذي توافرت كل عناصره، فإذا حاول العميل التحول إلى جهة معادية، أو رفض التعاون يهدد بتقديمه للمحاكمة، وساعتئذ لا يكون أمامه من سبيل سوى التجاوب والتعاون. بيد أن إنهاء عمل العميل، إنهاء عادلاً، يعتبر من الأمور التي تثبت ثقة العملاء الآخرين.

نظام الشبكات:

تتكون شبكات التجسس، دائماً، من عدة عملاء، قد يعرفون بعضهم بعضاً، أو قد لا توجد علاقة بينهم. ويكون لكل شبكة رئيس هو ضابط العملية، ويرتبط هذا الضابط مع شبكته عن طريق إحدى وسائل الاتصال السرية.

إدارة المصادر:

تُعني إدارة المصادر بأسلوب التعامل مع مصادر الأمن من الأفراد، بتدريبهم وإعدادهم، وتكليفهم بالمهام، ثم استخلاص المعلومات منهم، وتحسين أدائهم وتجويد وسائل الاتصال بهم، وحفزهم إذا أجادوا وعقابهم إن قصروا.

ويزيد من أهمية هذه الإدارة، أن العميل «المصدر» قد يكون أجنبياً فرضت عليه ظروف ما أن يكون عميلاً، وهذا يستدعي المحاذرة في التعامل معه، تعاملاً لا يُحسنه إلا إدارة متخصصة كإدارة المصادر.

حكم اتخاذ المصادر:

أجاز علماء المسلمين استعمال العملاء، والاستعانة بهم في جمع المعلومات عن الأعداء. وقد اتخذ الرسول ρ عبد الله بن اريقط دليلاً، لما هاجر ρ من مكة إلى المدينة، وكان ابن أريقط هذا من المشركين، ولكنه كان ذا خبرة بالأرض والطرق ومسالكها. واستخدام الرسول ρ كذلك حسيب بن خارجة، وعبد الله بن نعيم في غزوة خيبر، لما لهما من دراية بمنطقتها.

تشغيل المصدر:

عند تكليف مصدر ما، بمهمة ما، يجب الاعتناء بالآتي:

* الحصول على المعلومات عن آخر مهمة قام بتنفيذها.

* تذكيره بالأخطاء التي حدثت في آخر مهمة وتصحيحها، ومكافأته على الإنجازات لضمان العلاقة السليمة والولاء.

* تنبيه المصدر إلى الساتر (الغطاء)، وضرورة التقيد به.

* شرح المهمة الجديدة للمصدر، بكل تفاصيلها، والاستدلال في الشرح بالصور والخرائط والرسومات، وطرق

استخدام المعدات اللازمة.

* التثبت من أن المهمة المكلف بها المصدر مناسبة لقدرته وكفاءته.

* الاهتمام بألا يُكلف المصدر بأكثر من مهمة في آن واحد.

* توضيح خطة الأمن للمصدر، وإعلامه بما إذا كانت الأولوية للدقة أم للسرعة.

* توضيح الخطط البديلة للمصدر.

* التأكد من ثقة المصدر بنفسه في تنفيذ المهام ومعالجة أية مشكلة متعلقة بشخصه أو إمكاناته.

* تحديد مكان اللقاء القادم وزمانه، ووسائل الاتصال.

تدريب المصدر:

من المعهود في الأجهزة الأمنية، أن المصدر يُدرب: تدريجياً، على:

* أمنه الشخصي، لئلا يرتكب من الأخطاء ما يكشف عنه.

* العمليات التي سينفذها.

* وسائل الاتصال بينه والمسئول عنه.

* وبعد التدريب يُراجع أسلوب عمل المصدر اثر كل عملية يؤديها، ويصحح ما يبدر منه، وينبه إلى ألا يكرر ما أخطأ فيه، وتنبيهه لعدم تكرارها.

استخلاص المعلومات من المصدر:

بعد فراغ المصدر من العملية المكلف بها، ينبغي أن يراعى الأتي:

* التثبت من أن المصدر، أثناء سيره إلى مكان اللقاء، لم يكن متبوعاً من أحد.

* التدخل بالأسئلة التوضيحية أثناء سرد المصدر المعلومات، واختباره لتفادى تلفيقه قصةً من وحي خياله.

* تجنب الأسئلة الايجابية، والأسئلة التي يمكن أن يجيب عليها المصدر بنعم أو لا.

* تسجيل ما يقوله المصدر، كتابة أو بجهاز تسجيل.

* معاملة المصدر معاملة ودية، وجعله يتحدث بحرية، دون فقدان السيطرة عليه.

* جعل الأسئلة واضحة، وتكرارها إذا لم يفهم المصدر.

* تدوين الملاحظات عن المصدر من حيث الانطباع عن هدوئه وثقته بنفسه، وصدقه، مقارنةً بما هو معروف عنه لان ذلك يُفصح عن احتمالات كشفه من قبل العدو، أو كذبه في المعلومات التي يدلي بها.

* تقدير مجهودات المصدر، وشكره، ومكافأته إذا أحسن.

* تنبيه المصدر إلى الأخطاء التي ارتكبها بهدوء.

* الحرص على توجيه المصدر وإرشاده لإتباع تعليمات الأمن في حله وترحاله، وفي حياته الخاصة والعامة، وعلى وجه أخص أثناء تكليفه بمهمة.

الفصل الثالث

تأمين الجاسوسية

قياساً إلى ما يترتب على عمل الجاسوس من خطورة، فإنه لا منجى له سوى إتباع قواعد أمن محددة، تضمن سلامته، وتُنجح مهمته وتشمل تلك القواعد:

* التقيد الصارم بتنفيذ الخطة.

* لكل جاسوس غطاء (ساتر) بمثابة مبرر لوجوده في المكان والزمان المعينين، ويجب أن يكون الساتر متقناً ومناسباً، وأن يعيشه الجاسوس بدقة.

* لا بد من أن يلم الجاسوس بأساليب المخابرات المضادة في البلد الذي يعمل فيه.

* يتوجب على الجاسوس أن يخطط مسبقاً للطوارئ المحتملة، وأن يُعد أسلوباً للتخلص. فمثلاً، في بحثه عن مكتب للعمل، أو مأوى للسكن فمن الضروري أن يكون للمكان أكثر من مهرب عبر الأبواب.

* على الجاسوس ألا يعقد صداقات عاجلة، ولا يدخل في خصومات ظاهرة، وألا يفصح عن درايته باللغات، ولا يكتب بلغته لأحد حينما يكون في البلاد الأجنبية.

* يتوجب عليه الحذر من المتابعة، وألا يقابل مصادره إلا بعد إجراءات التأكد من عدم المتابعة، كما أن عليه أن يحرق الأوراق والمستندات، أو يتلفها حتى لا يمكن إعادة جمعها.

* هذا إضافة إلى أن على الجاسوس ألا يبدي اهتماماً بمعلومة معينة، بل عليه أن يسعى للحصول على معلومات كثيرة أخرى. كما أن عليه الحيطة والحذر عند تسجيل المعلومات.

* ينبغي على الجاسوس استخدام وسائل جيدة للإخفاء، فالأرقام والمسافات، مثلاً، يمكن كتابتها كأسعار أو مصروفات شخصية.

* من الضرورة أن يصبح تجنب الجاسوس الثرثرة سلوكاً لازماً له، إلا إذا كان القصد من الثرثرة استدراج الآخرين للإطالة في موضوع ما.

الاتصال السري في التجسس:

أن الحصول على المعلومات، وإرسالها إلى الرئاسة، هو أساس عملية التجسس. ويغدو البعد السري هنا، بالغ الأهمية، لأنه يشكل مكمن النجاح في الانتهاء إلى نتائج مثمرة، وسوى ذلك، يكون الأمر كله إخفاقاً في المقدمات، ثم إخفاقاً في الحصيلة.

وسوف نتحدث فيما يلي عن أدوات وسائل إخفاء المعلومات:

الحبر السري:

هنالك ثلاثة أنواع من الأخبار السرية المتعارف عليها في الكتابة الأمنية، وهي:

(أ) الحبر السري العضوي:

وتكتب به الرسائل السرية لأنه لا يرى بالعين العادية، فعند تعريض الرسالة للإحماء بالنار تظهر الكتابة بوضوح. ويشمل الحبر السري العضوي: عرق الإنسان، وبوله، ولعابه، ودمع عينه، كما يشمل: ماء البصل، والليمون، والخل، وزيت الجوز، وماءه.

(ب) الحبر السري الكيميائي:

وتكتب به الرسائل السرية لأنه يتضح عندما تعالج الرسالة السرية بعامل كيمائي معين وتشمل مواد الحبر السري الكيمائي:

* كبريت الحديد، إذ يتحول إلى لون أزرق عند مزجه مع ينايد حديد.

* كبريت الحديد، ويتحول إلى لون بني عند مزجه مع كربونات الصوديوم.

* استيتات الرصاص الفرعي،(leadsubacetate) ويتحول إلى لون بني عند مزجه مع سلفهرات الصوديوم (soduim sulfhyrate).

* الفينولفثالين (phenolphthalene) ، ويتكون بتعريضه لدخان الامونيا (fumes).

(جـ) الحبر السري المشع:

وفي حالة الحبر السري المشع تكتب الرسائل بمادة طبيعية، كالمواد المستخدمة في التصوير بالأشعة السينية (X-rays) ، وهي لا ترى عند الكتابة بها على الورق، ولكن يمكن قراءتها بوضوح عند تعريضها للأشعة السينية (أشعة اكس).

الأفلام الدقيقة (micro film):

وهذا النمط يجري فيه استخدام العدسات للتكبير والتصغير، ويكون عند الإرسال لتصغير الرسالة إلى اصغر حجم ممكن، وتصويرها عبر المايكروفيلم، المؤلف من جزئيات هاليد الفضة،(halide)، على طبقة من السليلوز (ceilulose)، تتفاعل عندما تتعرض للضوء.

النقاط المتناهية الصغر (micro)

وتسمى هذه النقطة، أيضاً (النقطة الميكروسكوبية)، وهي تتمثل في تصغير الرسائل حتى تصل إلى حجم نقطة صغيرة تلصق على طابع البريد، أو في نهاية إحدى الفقرات في رسالة عادية. وتعرف النقطة المتناهية الدقة عن طريق استعمال جزئيات الانلين الحساسة تجاه الضوء، .(anline- based photo sensitive)

وتستخدم النقطة المتناهية الصغر ـ عادة ـ بين الجواسيس: إذ يضعها أحدهم في مكان متفق عليه ـ يعرف اصطلاحاً ـ بالنقطة الميتة (dead letter box). في جذع شجرة، مثلاً، أو في موضع الهاتف العمومي، ثم يأتي الجاسوس الاخر لالتقاطها دون مقابلة بينهما.

الاتصال بوسائل خفية:

إن الوسائل الخفية التي يمكن إبلاغ المعلومات عبرها بسرية، من الكثرة بحيث يضيق المجال عن حصرها، ويعتمد تطويرها على الذكاء والخبرة. فمثلاً، يمكن استخدام الصحف اليومية بإعلان مدفوع الأجر عن منزل للإيجار أو مكتب للعمل، ويكون ذلك رمزاً بين طرفين للقاء في زمان ومكان محددين. أو يمكن ذلك بإرسال كتاب، أو صحيفة مع إحداث ثقب دبوس في الكلمات التي تشكل الرسالة السرية، وعلى هذا المنحى تطرد كثرة هذه الوسائل وتنوعها.

الإخفاء (cryptology)

إن الإخفاء وسيلة قديمة، ظل يستخدمها الإنسان كلما أراد ألا يبلغ ما تخفيه أيدي الآخرين أو أعينهم. ولكن أجهزة التجسس طورت هذا الأسلوب إلى علم وفن راقيين، فالأدوات التي يستعملها الجواسيس تُصنع في حجم صغير يمكن إخفاؤه بيسر، فصرنا نشهد آلات التصوير ومكبرات الصوت التي يمكن دسها في غلاف كتاب أو غطاء، مثلاً، كما مضت التقنية تصنع أدوات منزلية أو مكتبية عادية، تحوي أمكنة للإخفاء، مثل المواضع السرية في حقائب السفر، وطفايات السجائر المعتادة، كما استحدثت وسائل الكترونية ومغناطيسية لمزج الأصوات، مثل نشر طيف الأصوات أو إخفائه. أما في مجال إرسال المعلومات فان علم الإخفاء يُعتمد عليه في نظام الشفرة والرموز (cypher and codes)، فنظام الشفرة يرمي إلى تحويل الرسالة العادية ـ وفق قواعد متفق عليها ـ إلى إشكال يصعب حلّها إلا على من يعرفون تلك القواعد المتفق عليها.

ويقال: أن لفظة شفرة هي تحوير للكلمة العربية (صفر)، وان العالم العربي تاج الدين بن دريهم قد وضع ـ في عام 1312م ـ مربعاً للشفرة في مدينة الموصل بالعراق، سابقاً به علماء الغرب بقرنين كاملين في هذا المجال، ويذكر الغربيون أن أول مربع للشفرة، وضعه الفرنسي فيجنيه (vigenesquaree). وفيها ـ وهي بسيطة الفكرة ـ يحل رقم ـ أو حرف ـ محل الرقم، أو الحرف الأصلي، ويمكن بسهولة معرفة ما يرمز إليه الرقم أو الحرف، بمعرفة خصائص اللغة المستخدمة، ونسبة تكرار كل حرف فيها. ففي اللغة العربية، مثلاً، إذا أدخلنا في الحاسوب سورة طويلة من سور القرآن ـ كسورة البقرة ـ فإنه يمكننا معرفة تكرار كل حرف في هذه اللغة، وهكذا.

غير أن العلم الحديث يزيد، كل يوم، من تعقيد الشفرة بحيث يحل ذات الرمز محل حرف مختلف في كل مرة،

أو أن تشوه الشفرة تشويها عشوائياً.

وقد شمل مجال الشفرة الإشارات المرئية والصوتية بحيث ترسل وكالات البث التلفزيوني بثها عبر الأقمار الصناعية بطريقة غير قابلة للرؤية والاستماع إلا للمشتركين الذين يتملكون جهاز استقبال معين (dish)، أو جهاز (de-code)، الذي يمكن المشترك من إعادة عرض البث بشكله الطبيعي قبل أن يوضع في شفرة. كما دخلت الشفرة مجالات أخرى، مثل: المكالمات السلكية واللاسلكية، وأجهزة الحاسوب، بحيث لا يستطيع احد معرفة المعلومات المخزنة تخزيناً سرياً إلا إذا كان لديه مفتاح الشفرة.

ومما يجدر بالتنويه إليه، أن مؤتمر «اللغة العربية وتقنية المعلومات» الذي عقد في مطلع عام 1994م، أعلن عن أن العالم السوداني (الدكتور يحيى فضل الله)، قد توصل إلى وضع أول تقنية شفرة عربية مستعصية الحل، أطلق عليها «الشفرة متعددة الأبجدية» (pclyalphabeti cipher) وهي تعامل الحروف الأبجدية حسب تشكيلها، وتستخدم مفاتيح مختلفة في المواضع المختلفة من النص، دون تكرار أو نمطية في تطويع الحروف. ولا شك في أن اختلاف إعراب الكلمات واختلاف تشكيل الحروف العربية يعطي الشفرة العربية درجة أكبر من السرية.

أما الرمز أو الكود فهو اصطلاح يختلف عن الشفرة، فبينما تستخدم الشفرة حرفاً ـ أو رقماً ـ ليرمز إلى ـ حرف أو رقم ـ آخر، فان الكود يستخدم كلمات ـ بل أحياناً جملاً ـ لتمثل كلمة أو كلمات أو جملاً أخرى، «والرمز» هو عملية تعويض من عنصر واضح بمجموعة رمزية «كودية»، وقد يترك جزء من الرسالة «المرمزة» واضحاً، فيستخدم الرمز لإخفاء الأجزاء السرية الهامة فقط.

والرسالة المرسلة بالشفرة أو «الرمز» تتطلب مزيداً من إجراءات التأمين، مثل: إرسال الشفرة دون مواعيد منتظمة، ومضاعفة سرعة التسجيل في حالة الرسائل المرسلة عبر الهاتف السلكي واللاسلكي، وإتباع إجراءات امن وسائل الاتصال الذي أفردنا له حيزاً خاصاً في الفصول السابقة.

تقانة التجسس:

(أ) الطائرات:

تستخدم الطائرات التي تحلق في مستوى عال من الارتفاع وبسرعة فائقة، لتنفيذ مهام تجسسية، بعد تزويدها بمعدات التصوير المتقدمة، ومعدات الاستشعار من بعد.

وقد استُحدثت طائرات استكشاف وتجسس تطير دون ملاحين، وهي طائرات مجهزة بجهاز التحكم من على البعد:(remote control)، وطائرات دون طيار (remo drone) تعمل وفق برنامج معد سلفاً. ومن اشهر طائرات التجسس في هذا العهد الطائرة الأمريكية للاستطلاع الالكتروني (أواكس)، التي تتسابق اليوم بعض دول المنطقة لاقتنائها.

(ب) الأقمار المصنوعة:

أصبحت الأقمار المصنوعة من أهم وسائل جمع المعلومات، وقد غداً من المعلوم أن هنالك عدداً من الأقمار المصنوعة تتخذ مداراتها في الفضاء الخارجي، وهذه الأقمار مزودة بأجهزة متقدمة للتصوير بعيد المدى.

وليس بخاف على أحد اليوم أن التجسس قد بلغ ارفع مستوى له، بتوظيف هذه الأقمار توظيفاً لم يعد من الممكن معه الاكتفاء بالوسائل التقليدية في مواجهة حُمى التجسس التي تتسارع عبر هذه التقانة المتقدمة من قبل القوى الصناعية الكبرى.

(جـ) الاستشعار من بُعد:

أتاح «الاستشعار من بعد» للتجسس، آفاقاً جديدة، مكنت من ارتياد الأهداف التي تبعد آلاف الأميال، وكأنها أهداف قريبة في متناول الأيدي، بل أن «الاستشعار من بعد» لا تقف إمكاناته عند حدود ارتياد سطح الكرة الأرضية، فهو نفاذ إلى أغوار الأرض، وأعماق البحار، إذ يوظف له اليوم، آخر ما توصلت إليه التقانة من الإشعاعات غير المرئية، وموجات الرادار واللاسلكي، كما انه طوع ـ في عالم الاتصالات ـ خاصية الإشعاع الذاتي للأجسام المختلفة على سطح الأرض، أو في باطنها.

(د) الالكترونيات:

شكلت الالكترونيات عهداً حاسماً في تاريخ خدمة التجسس والتجسس المضاد. ويتبدى ذلك واضحاً، في مجالات الحرب الحديثة، حيث تضطلع الأدوات الالكترونية بمسح الأجواء، بحثاً عن رسائل الأعداء المبثوثة

عبر الأثير، واعتراضها، وتحيد محطات البث، وفك رموز الشّفرات، ثمّ التشويش على بث الأعداء وتضليله.

(هـ) الهاتف:

باتت آلة الهاتف العادية ـ باستخدامها المعهود ـ عرضةً لاستراق السّمع من المترصدين، بل اتسعت طرق تطويعه من قِبل هؤلاء، ليصح أداة تبث كل ما يدور في المكان الموجود به الهاتف.

وقد تعددت تقانة استراق السّمع، كما تعدّدت طرائقها، فمنها ـ على سبيل المثال ـ أجهزة صغيرة توضع داخل آلة الهاتف، ومنها اعتراض أسلاك الهاتف وتوصيلاته لالتقاط المكالمات، ومنها سوى ذلك ما تُملى علينا كثرته تجاوز تفاصيله، لنقتصر هنا عل كيفية مكافحتها، كما سيرد في السوط التالية.

التدابير الوقائية لمكافحة التجسس:

وقاية الهواتف:

* وجود قطع الهاتف عندما لا يكون مستعملاً الاستعمال.

* إجراء المحادثات السرية في الغرف بعيداً عن مكان الهاتف.

* وضع بعض باعثات الضّجيج، لإصدار أنغام على خطوط الهاتف حينما لا يكون في حالة استعمال.

* استعمال مولدات الحقول المغناطيسية، لتجري غسيلاً مغناطيسياً يحبط محاولات استراق السّمع.

* الانتباه إلى أنّ الهاتف المستخدم لا يعاني هبوطاً في جهد التيار الكهربائي، بمعنى أن صوت المتحدث لا ينخفض فجأة، إذ في ذلك دليل على أن ثمة تصنتاً.

* الإيقان بأن الهاتف مراقب، عندما يخبر المرسلون بأن الهاتف يعطي إشارة «مشغول» على الدوام، في حين أنه يبدو لصاحبه سليماً.

* عدم التحدُث عبر الهاتف عن الأسرار.

* وضع آلة مكافحة التصنت في جهاز الهاتف، وهي آلة تعطي ضوءاً أحمر صغيراً إذا كان ثمة مراقبة.

زرع ونزع أدوات استراق السمع (bugging and de bugging) (مكبر الصوت).

إن أكثر أدوات استراق السمع استعمالاً هو مكبر الصوت الذي يُخبأ في المكان المستهدف، ويتفرع منه سلك إلى مكان التصنت. ويتطلب زرع هذه الآلة أن ينجح أحد العملاء في دخول موقع الهدف لوضعها هنالك.

التصنت من الغرف المجاورة:

ويجري التصنت في هذه الحالة، بإحداث ثقب في الجدار يسمح بمرور الهواء من الغرفة (الهدف) إلى مكبر الصوت. على أن يُثقب الجدار بحذر، في الأركان، أو في الخشب المحيط بالأبواب والنوافذ، باعتبار لان يكون قطر الثقب صغيراً جداً، لا يلفت النظر، كما يُستخدم، أحياناً، جهاز مكبر الصوت (الأنبوب) في مثل هذه العمليات.

شريط التسجيل:

توظف آلات التسجيل التي تعمل بالأشرطة، لتسجيل ما يدور من أحاديث في المكان المستهدف بالمراقبة.

وميزة هذه الوسيلة أنها لا تحتاج إلى من يديرها طوال الوقت كما يحدث في وسائل أخرى. ويتوقف حجم آلة التسجيل على مكان التصنت نفسه، فإذا كانت آلة التسجيل داخل الهدف فيلزم أن تكون صغيرةً جداً، عديمة الصّوت. أما إذا كانت في مكان مجاور أو بعيد عن الهدف، فيمكن استخدام آلات تسجيل كبيرة الحجم.

الراديو (radio bug)

من أدوات استراق السّمع، الأجهزة الراديويّة، التي يُدرج فيها مكبر الصوت والُمرسل والبطارية، وتكون بأحجام صغيرة، تتراوح بين حجم حبّة الأرز إلى حجم علبة السّجائر، ويتراوح مدى الإرسال بين المائة متر إلى

أكثر من ميل.

متابعة السيارات والمركبات:

توظف أجهزة «تحديد الاتجاه بالراديو» لمتابعة السّيارات والمركبات، والجهاز منعا في حجم الكتاب، وهو يُرسل إشارةً تصدر عن مغناطيس يُلصق بالسيارة ـ أو المركبة ـ «الهدف»، وترتبط فترة عمل الجهاز بقوة البطارية التي تُشغله، ويلتقط الجهاز السيّارة «الهدف»، من مسافات تصل إلى نحو خمسة أميال. وقوة وضوح الإشارة المتسلمة تُحدد مسافة السيارة الهدف، وهذا الجهاز هو ذات الجهاز المستخدم في إرشاد السّفن والطائرات، ومساعدتها في الملاحة إلى الموانئ والمطارات.

أجهزة الرؤية اللّيلية:

تُستخدم هذه الأجهزة لمراقبة الأهداف، ليلاً، باستعمال الأشعة غير المرئية، والأشعة دون الحمراء (infra red)، وتمكن هذه الأجهزة من رؤية أهداف على بعد 600 إلى 1000 قدم، وذلك بتكبير الضوء الخافت المنبعث من الهدف نحو خمسين ألف مرة.

مكافحة أدوات استراق السمع:

لتلافي مآزق استراق السّمع فان هنالك كاشفات معدنيّة وآلات أشعة سينية، (X-ray) ومعدات تصوير وآلات تعمل بالتردد الرّاديوى، وكلها تعمل على مسح المنطقة للتثبُت من انتفاء وجود أجهزة استراق السمع، وإزالتها أن وجدت، وتتراوح هذه الأجهزة بين أجهزة غالية الثمن ـ يُوضع بعضها في ساعة المعصم، مثلا، إلى أجهزة أقل دقة وأرخص سعراً.

ومن أساليب توقي استراق السّمع، تشغيل أجهزة إثارة الضجيج بعقد الاجتماعات السرية في غرف محصنة تُسمى (الغرف العائمة)، وتكون الغرفة منها محاطة بالفراغ من جوانبها الستة (جدرانها العائمة)، وتكون الغرفة منها محاطة بالفراغ من جوانبها الستة (جدرانها الأربعة وسقفها وأرضيتها)، وتُغلف الجدران بعوازل الصّوت، وتُعلق مولدات إثارة الضجيج على الجدران، فيتبدد كلُ جهد للتصنت.

الفصل الرابع
الحرب النفسية

«الحرب النفسية»، هي التطبيق العلمي، المنظم والمخطط، للدعاية النفسية، بشتى الوسائل، سواء منها الإذاعات، أو النشرات، أو الصحافة، أو الصور، أو التحالفات العسكرية ومناورات الجيوش، أو عقد المؤتمرات وإشاعة الشائعات، وغير ذلك من الوسائل التي تبغي التأثير في أفكار شعوب الدول المعادية أو المحايدة أو الصّديقة.

وتُوجه الحرب النفسية ضد الفكر والعقيدة والثقة، وهي حرب دفاعية وهجومية في آن واحد، لأنها ترمي ـ داخلياً ـ ببعدها الدفاعي: إلى بناء معنويات الشّعب والجيش، وتحصينها في مواجهة شائعات العدو ودعايته، وهي ـ ببعدها الهجومي ـ تهدف إلى تحطيم معنويات شعب العدو وجيشه، والتشكيك في قدراته وتفتيت وحدته الوطنية، وغرس بذور الخوف والتذمر والانحلال والخيانة بين أفراده.

وان أهمّ ما تتقصده الحرب النفسية ـ بالتخذيل ـ هو الروح المعنوي، والفكر والعقيدة، لذا فان القرآن الكريم لا ينفك يحدثنا عن صور شتى من الحروب النفسية بين الرسل وأعدائهم، ومنها ما افتعله الأعداء الكافرون من شائعات وأخبار كاذبة ضد المسلمين، وكل ذلك ينبئ عن وعي قديم لدى البشرية بأن الحرب النفسية واحدة من أفتك الأسلحة على مر الحقب والأزمان، ويعضد هذه الفحوى الصراع الدائر بين الحق والباطل منذ الأزل.

وفى السطور القادمات سنتحدث عن أهم أساليب الحرب النفسية، وهي: الشائعة، والدعاية، والحصار الاقتصادي.

الشائعة:

الشائعة، هي خبر ينشر كي يصدقه السامع، وينتقل، غالباً، من شخص إلى آخر شفاهة، ولا يعرف ـ عادة ـ مصدر الشائعة وهي تحوى، أحياناً، جزءاً يسيراً من الحقيقة، مضافاً إليه كثير من الكذب.

والشائعة أداة من أدوات الحرب النفسية، وهي ظاهرة اجتماعية قديمة، عرفتها المجتمعات منذ سحيق الأزمان فهنالك ـ دائماً ـ مروجون للشائعات، سماهم القرآن (المرجفون) أي المشيعون الأخبار الكاذبة: ﴿لَئِن لّم ينتهِ المنافقونَ والذينَ في قلوبهِم مرضٌ والمرجفونَ في المدينة لنغرينكَ بهم ثمَ لا يُجاورونكَ فيها إلا قليلاً. ملعونينَ أينمَا ثقفُوا أخذُوا وقتلُوا تقتيلا. سنة اللهِ فِي الذينَ خلَوا مِن قبلُ ولنَ تجِدَ لسنةِ اللهِ تبديلا﴾[135].

والمرجفون لا يتورّعون عن نشر شائعاتهم حتى في شأن الله عزّ وجل!! فقد أخرج قتادة، قال: «قال ناس من المنافقين: إن الله صاهر الجن فخرجت من بينهم الملائكة، فنزل فيهم قولهم تعالى: ﴿وجعلُوا الملائكةَ الذينَ هُم عبادُ الرحمنِ إناثاً أشهدُوا خلقُهم ستكتبُ شهادتهُم ويسألونَ﴾[136]».

وعندما شاء الله أن تُنجب مريم عيسى، عليه السلام، من غير أب، أشاع اليهود وطوائف أخرى من النصارى ما يشكك في ذلك، وقال رسول الله ρ: «لا أحد أصبر من أذى سمعه من الله أنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ولياً فيهم».

ومن وقائع الشائعات الشهيرة في التاريخ ما أشاعه المنافقون واليهود إفكاً، عن السيدة عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ وقد كان مبتغاهم أن يزلزلوا مجتمعاً اتسم بالعفة والصّون، وأن ينالوا من النبي محمد ρ في أهل بيته الأشرفين، فنزل القرآن فاضحاً كذبهم وإفكهم: ﴿إنّ الذينَ جاءُوا بالإفكِ عُصبةٌ منكُم لا تحسبوهُ شراً لكُم بل هوَ خيرٌ لكُم لِكلّ امرئ منهُم ما اكتسب مِن الإثمِ والذِي تولّى كبرهُ منهُم لهُ عذابٌ عظِيم﴾[137]، وقد كانت هذه الواقعة عبرة بليغة للمسلمين، ولقد أصبحت منهاجاً في كيفية محاربة الشائعات.

كيف تبدأ الشائعة:

يكتنف الغموض دائماً بداية الشّائعة، لاستحالة معرفة مصدرها. وتكون الشائعة دائماً عن موضوع خطير يهم السامعين، فيتناقلها النّاس وتتغير الرواية ـ بقصد أو بغير مقصد ـ ثم تسرى إلى أن تبلغ حداً من الخطورة قد يشكا تهديداً لأمن البلاد.

وفى هذا العصر تطورت الشائعة، وأصبحت علماً له متخصصون يصوغونه، وآخرون منهم يتولون محارته.

وفي عالم اليوم توظف الشائعة ضمن الحرب النفسية، وكثيراً ما تكون وسائل الإعلام أداة لترويجها، كما سنرى.

مراحل الشائعة:

مرحلة إعداد الذهن:

تكون الشائعة في المرحلة الأولى واضحة ومختصرة وسهلة الفهم، وتقل فيها التفصيلات.

المرحلة الحادّة:

تتركز الشّائعة بعد انتشارها حول معلومات معينة وتفصيلات خاصة تهم الناس وتزعجهم، وغالباً ما يكون هذا هو غرض المروج، لتتداولها من بعد ذلك وسائل الخصم بالترديد والتحليل.

مرحلة الاستعياب:

وهي مرحلة تصديق الشائعة واعتبارها حقيقة، ليبدأ الجمهور في التجاوب معها بردود أفعال موازية، فإذا كانت الشائعة عن شح سلعة، مثلا، فان الجمهور سيتجه إلى التخزين والتكديس والسلوك الشرائي النهِم، إلى أن يحدث الشح فعلاً.

مرحلة التصنيف:

تصنيف الشائعة وفقاً لمعيار الوقت ومعيار الدوافع، باعتبارهما العنصرين المتحكمين في تشكيلها ولنفاذ تأثيرها.

معيار الوقت:

يُستخدم الوقت كأساس لتصنيف الشائعة من حيث سرعة انتشارها، فتسمى الشائعة بالشعائة «الزاحفة»، إذ كانت سلاحفائية (بطيئة السرعة)، وسرية في انتشارها، ومثال ذلك الشّائعة التي تمس الشرف، أو التي تتعلق بحادث دقيق تختص به وهناك الشائعة الضعيفة، وهي التي تروج بسرعة وعنف في وقت قصير، لا تلبث الحقيقة أن تظهر بعده مباشرة فتموت الشائعة.

دوافع الشائعات:

(1) دافع الأمل:

كثيراً ما تروج شائعات تكون الآمال ـ وحدها ـ محركاً لمروجها، خيراً كانت مقاصده أو شراً، كشائعات انتصار الجيوش وهزيمة الخصم، أو اكتشاف علاج لمرض خطير.

(ب) دافع الخوف:

كثيراً ما يدفع خوف البعض من أن تكون الشائعة حقيقة إلى ترديدها، فتسري بين الآخرين، مثل شائعة قتل النبي ρ في غزوة أحد، إذ قال الكفار يومذاك (لو كان نبياً ما قُتل)، فأصاب ذلك المؤمنين بالوجل والوهن، حتى قال القرآن: ﴿ومَا محمدٌ إلا رسولٌ قد خلَت من قبلهِ الرسلُ أفإن ماتَ أو قتلَ انقلبْتم علَى أعقابكُم ومَن ينقلِب علَى عقبيهِ فلَن يضُر اللهَ شيئاً وسيجزِى اللهُ الشاكرِين﴾[138].

(د) دافع الحقد:

وهذا النمط من الدوافع يسعى ـ بالشائعة ـ إلى بث الفرقة في المجتمع وتخذيل الشعب، كتهويل حجم الأعداء، الذي كثيراً ما فتك بالجيوش قبل التلاقي، وكان هذا مشهوراً عندما كانت الحروب تعتمد اعتماداً حاسماً على عدد الجنود في خوض المعارك، أما اليوم فلم تعد الشائعة ترمي إلى التهويل من حجم الأعداء، بقدر ما باتت تنزع إلى الإخافة بتهويل عدة العدو وخطورة فتك أسلحته، واستحالة اللحاق بتقنيتها العالية، وقد جمع القرآن المجيد هذه المنازع المختلفة في أية بينة، فقال: ﴿الذينَ قال لهمُ الناسُ أن الناسَ قَد جمعُوا لكُم فاخشوهُم فزادهُم إيماناً وقالُوا حسبنَا اللهُ ونعمَ الوكيِل﴾[139].

مقاومة الشائعات:

تصاعدت أهمية مقاومة الشائعات بتصاعد خطورتها في الوقائع الأمنية، لذا فهي تحارب بعدة وسائل منها:

* إعلام الجمهور بالإحداث ـ أولا بأول ـ لكيلا يسبق الخصم بتشويه المعلومات.

* بثُ الوعي الأمني والسياسي والديني، لتحصين المواطنين ضد الشائعات، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿إنّ السمعَ والبصرَ والفؤادَ كلُ أولئكَ كانَ عنهُ مسؤولا﴾[140].

* خلق روح السلام بين الناس، والحرص على ترسيخ مفاهيم الألفة بينهم، وحفزهم على التكاتف في سبيل صد الأعداء ـ وان اختلفت رؤاهم السياسية ـ فالدين والوطن أولى بالرعاية مما سواهما، ففي الحديث الشريف «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» وفي الذكر الحميد: ﴿إن اللهَ يحبُ الذينَ يقاتلونَ في سبيلِهِ صفاً كأنهُم بنيانٌ مرصوصٌ﴾[141].

* إهمال الشائعات الخبيثة التي تحمل جزءاً من الحقيقة، أو العارية من الصحة، فهي مما إذا جرى التصدي لها زادها رواجاً.

* العمل بمفهوم أنّ أحسن الرُدود على الشائعات المتعلقة بالمواد التموينية هو إغراق السوق بمزيد من تلك المواد، لان إصدار البيانات يفاقم الموقف. كما أن الوسيلة المثلى لتبديد الشائعة السّارية ـ مثلاً ـ عن عزل مسؤول أو مرضه، هي ظهوره في مادة جديدة ضمن نشرة الأخبار.

* تحصين المواطنين بما أبداه الإسلام من موقف حيال الشائعات ومروجيها وأهدافهم، لئلا يتأثر المجتمع بهم فيداخله الارتياب: ﴿إنمَا المؤمنونَ الذينَ آمنُوا باللهِ ورسولهِ ثُم لَم يرتابُوا﴾[142].

وظائف الشائعات:

من أساليب الأعداء في الحرب النفسية بث الشائعات لأهداف مختلفة منها:

* **<u>التفتيت:</u>**

ومن ضروبه، أن الكفار حاولوا تفتيت الوحدة المتينة التي نشأت بين الأنصار والمهاجرين، فمضوا يشيعون وأن المهاجرين ضيقوا العيش على الأنصار وشاركوهم قوتهم ونساءهم، ولكن هذه الشائعة لم تنطل على المؤمنين من الأنصار، وحفظهم الله من كيد المنافقين، قال تعالى: ﴿وألفَ بينَ قلوبهِم لو أنفقتَ ما فِي الأرضِ جميعاً مّا ألفتَ بينَ قلوبهم ولكِن اللهَ ألّفَ بينهُم انهُ عزيزٌ حكيم﴾[143].

* **<u>الخداع:</u>**

وذلك بإشاعة نقيض ما تضمره النوايا الحقيقة. وقد جاء المنافقون يقولون للرسول الكريم إنَّهم آمنوا به ـ خداعاً وكذباً ـ فخاطبه الحقّ تعالى: ﴿إذا جاءكَ المنافقونَ قالُوا نشهدُ انكَ لرسولُ اللهِ واللهُ يعلمُ انكَ لرسولهُ واللهُ يشهدُ إنّ المنافقِين لكاذبونَ﴾[144].

* **<u>اغتيال الشخصيات المرموقة (معنوياً):</u>**

ومن ذلك ما أشاعه أهل الإفك عن السيدة عائشة رضي الله عنها، وقد برأها الله من إفكهم، كما قدمنا الحديث عنه.

* **<u>التّحريق والتزوير:</u>**

وذلك باقتطاع جزء من التصريحات، وإضافة بعض المعلومات إليها ـ تحريفاً ـ بما يتناسب وأغراض العدو. والقرآن، بكل رفعته، لم يسلم من تحريف المشركين، قال تعالى: ﴿وإنّ منهُم لفريقاً يلونَ ألسنتهُم بالكتابِ لتحسبوهُ من الكتابِ وما هوَ من الكتابِ ويقولونَ هوَ مِن عندِ اللهِ وما هوَ مِن عندِ اللهِ ويقولونَ علىَ اللهِ الكذبَ وهم يعلمونَ﴾[145].

الدعاية:

الدعاية وسيلة من وسائل الحرب النفسية، وهي جهدٌ مخطط ومنظم يهدف إلى التأثير في نفوس الناس: أفكارهم، وآرائهم، وعواطفهم.

وتوظف في الدعاية النشرات والصور والصحافة، ويُطوع لها زخرفُ القول، بالخطابة والشعر وضروب الفنون.

ومن صور الدعاية في القرآن الكريم ما عرضته الآيات في سورة طه، حيث نجد حرباً نفسية واضحة التفاصيل حاول فيها فرعون أن يوظف الدعاية ضد سيدنا موسى عليه السلام: ﴿فتولّى فرعونُ فجمعَ كيدهُ ثمَ أتَى.

قالَ لهُم موسَى ويلكُم لا تفترُوا علَى اللهِ كذباً فيسحتكُم بعذاب وقد خابَ من افترى. فتنازعُوا أمرهُم بينهُم وأسرُوا النجوى. قالوا إن هذانِ لساحرانِ يريدان أن يُخرجاكُم مِن أرضكُم بسحرهمَا ويذهبَا بطريقتكُمُ المُثلى. فأجمعوا كيدكُم ثمّ ائتُوا صفّاً وقَد أفلحَ اليومَ منِ استعلى. قالوا يا موسى إما أن تُلقِي وإما أن نكونَ أولَ من ألقَى﴾[146].

هنا جهد مخطط ومنظم من قبل فرعون للتأثير في نفوس سحَرته وقومه، حثهم به على التمسك بالأرض وبأسلوب الحياة السائد، وأوعز إليهم أن ثمة مُخربين وسحرة لا محيد عن مقاومتهم. وكالشائعة ـ تماماً ـ تُسخر الدعاية ضد أفكار الآخرين ومعتقداتهم، وتُحشد لها أساليب الإرباك والإضعاف، وأشهرها السخرية، والاستهزاء، والاستخفاف، والتعبير. فمن ذلك ما قصه القرآن الحكيم في ثنايا مؤازرة الحق لنبيه حين تقصّده الكفار معيرين إياه ﴿إنّا أعطيناكَ الكوثرَ. فصلِ لربكَ وانحَر. إنّ شانئكَ هُوَ الأبتر﴾[147]. وقد كان ذلك دأب الكفار مع الرسالات: يحاربونها ويستهزئون منها سخرية: ﴿ولقَد استهزِىء برسُل مّن قبلكَ فحاقَ بالذينَ سخروا مِنهُم مّا كانُوا به يستهزءونَ﴾[148].

وتعتمد الدعاية في الحرب النفسية أسلوب إثارة الفتن والوقيعة بين الأهل والأقارب، وبين المواطنين عامة. وقد شهد الرسول الكريم ألواناً من هذه الحرب طوال سني دعوته، فقد استهدفه الكفار في علاقته بأبي طالب (عمه، وحاميه) ـ رغم كفره ـ فقدم وفدٌ من قريش إلى أبي طالب يقولون له: إنّ ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفّه عنا، وإما أن تُخلي بيننا وبينه، فانك على مثل ما نحنُ عليه من خلافه فنكفيه. فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً وردهم رداً جميلاً، فعاد الوفد من حيث أتى.

وعظُم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفساً بتسليم ابن أخيه وخذلانه، فاستدعي الرسول ρ ويطلب منه ألا يحمله ما لا يطيق، فظن الرسول أن عمه خاذله ومسلمه. فقال الرسول: «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أهلك دونه ما تركته»، وعندها قال أبو طالب لابن أخيه: اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً.

وتعتمد الدعاية ـ أيضاً ـ أسلوب الترغيب والترهيب، فقد حاول كفار قريش إغراء سيدنا محمد ص بالمال حتى يكون أكثرهم مالاً، وبالملك حتى يصير ملكاً عليهم، وعندما رفض كل عروضهم، ساوموه ـ عليه الصلاة والسلام ـ على حل وسط: أن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق، فيترك كل منهما الآخر على ما هو عليه: ﴿ودُّوا لَو تدهنُ فيدهنونَ﴾[149]. لذا كانت المفاصلة: ﴿قُل يَا أيهَا الكافرونَ. لا أعبدُ مَا تعبدونَ﴾[150].

ومن الأساليب الشهيرة في الدعاية: التشكيك، وقد عمد إليه الكفار للنيل من نبوة محمد ρ : ﴿وقالُوا مَا لهذَا الرسولِ يأكلُ الطعامَ ويمشِي في الأسواقِ لَو لا أنزلَ إليه ملكٌ فيكونَ معهُ نذيراً. أو يلقَى إليه كنزٌ أو تكونُ لهُ جنة يأكلُ منهَا﴾[151]، ومن هذا النمط، الاتهام بالسحر والكذب: ﴿وعجبُوا أن جاءهُم منذرٌ منهُم وقالَ الكافرونَ هذَا ساحرٌ كذابٌ﴾[152].

ومن صور التطويع المنظم والمخطط للدعاية القوية، ما فعله الوليد بن المغيرة ـ وكان من الكفار الطاعنين في السن ـ وقد جلس معه كفار قريش يحيكون أسلوباً من أساليب الدعاية ضد النبي عليه الصلاة والسلام في موسم الحج ـ أيام الجاهلية ـ فقال لهم الوليد: أن وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً.

قالوا: نقولُ كاهنٌ.

قال: لا والله ما هو بكاهن. لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه.

قالوا: نقول مجنون.

قال: ما هو بمجنون. لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه، ولا تخالجه، ولا وسوسته.

قالوا: فنقول شاعر.

قال: ما هو بشاعر. لقد عرفنا الشعر كله، رجزَه وهزجَه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر.

قالوا: فنقول ساحر.

قال: ما هو بساحر. لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم.

قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس.

قال: والله إن لقوله حلاوة، وإن أصله لغدقٌ وإن فرعه لجناةٌ وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرف أنه باطل. وان أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته.

فجعل الكفار من قريش يجلسون بكل طريق من طرق مكة حين جاء الموسم، لا يمرُّ بهم أحدٌ إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره، فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة قوله: ﴿ذرني ومَن خلقتُ وحيداً. وجعلتُ لهُ مالاً ممدوداً. وبنينَ شهوداً. ومهدتُّ لهُ تمهيداً. ثمَّ يطمعُ أن أزيدَ. كلاَّ إنهُ كانَ لآياتنا عنيداً. سأرهقهُ صعوداً. إنهُ فكرَ وقدرَ. فقتلَ كيفَ قدرَ. ثمَّ قتلَ كيفَ قدرَ. ثمَّ نظرَ. ثمَّ عبسَ وبسرَ. ثمَّ أدبرَ واستكبرَ. فقالَ إن هذَا إلا سحرٌ يؤثرُ. أن هذا إلاَّ قولُ البشرِ. سأصليهِ سقرَ. ومَا أدراكَ ما سقرُ. ومَا أدراكَ ما سقرُ. لا تُبقِي ولا تذرُ. لواحةٌ للبشرِ. عليهَا تسعةَ عشر﴾[153].

الحصار الاقتصادي:

الحصار الاقتصادي من وسائل الحرب النفسية الفتاكة، يستخدمه العدو ليدمر نفسية الشعب قبل أن يدمر معاشه ونشاطه. وهو وسيلة قديمة متجددة، نشاهدها اليوم باسم مكافحة الإرهاب حيناً، وباسم تحقيق الأمن الدولي حيناً آخر، وباسم حقوق الإنسان أحياناً كثيرة. والحصار الاقتصادي من الشواهد القوية على وعي البشرية ـ الفطري المبكر ـ بوسائل الحرب المختلفة. فقد كان واحداً من أساليب مشركي قريش في تصديهم للإسلام، حينما عقدوا مؤتمراً وكتبوا كتاباً على بني هاشم وبني عبد المطلب: «ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوا منهم شيئا ولا يبتاعوا منهم، ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا محمداً للقتل، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة، فانحاز بنو هاشم وبنو عبد المطلب: مسلمهم وكافرهم إلى أبي طالب ودخلوا معه في شعبه، فأقاموا على ذلك سنتين، أو ثلاثاً، حتى جهدوا وكان لا يصل إليهم شيء إلا سراً، وقطعت قريش عنهم الأسواق، حتى كان يُسمع أصوات أبنائهم ونسائهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع، واشتدوا على من اسلم ممن لم يدخل الشعب وعظُمت الفتنة وزلزلوا زلزالاً شديداً».

هذه هي أساليب الحرب النفسية، امتاز أعداء الإسلام على المسلمين بامتلاك أدواتها وتطويرها، حتى كادت تفتن ابناء الإسلام، وتبعدهم عن هوياتهم بعد أن خلخلت قوتهم ونفذت إلى أغلى ما لديهم: ثقتهم بعقيدتهم. واليوم نشهد صحوة إسلامية واثقة، نهدت طلائعها لصون الدين، وحماية الثغور، تطلعاً لخير البشرية كلها، لا المسلمين وحدهم، فهل تعي هذه الطلائع عبر الأمس القريب ـ والبعيد ـ ودروسه، وتنطلق لتسخير كل الوسائل التي سخرها الأعداء، طويلاً، ضدهم، ليمتلك المسلمون زمام المبادرة من جديد، ويعلموا العالم كله، إن مثل هذه الوسائل والأدوات ينبغي أخذها بحقها: لا عدوان إلا على من بغى، ولا تشهير، ولا استخفاف بمن راعى حقوق الآخرين. انه نبل الدين، وكرامة مقاصده.

الخاتمة

إن الأمن والمخابرات قضية محورية، ظلت محط اهتمام الإنسان منذ القدم، وستظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومع تطور الدولة الحديثة، وتطور أدواتها التقنية ومؤسساتها الأمنية، أصبحت قضية الأمن والمخابرات اشد تعقيداً مما مضى، وأقوى تأثيراً، وقد انسحب ذلك على حياة الناس العادية، راسماً أبعادها ومشكلاً حدودها.

وعالمنا الإسلامي في سعيه لنيل موقعه اللائق به بين الأمم، يجد نفسه مُستهدفاً، عبر مخططات المخابرات الأمنية، التي ثبطت جهوده في تأسيس أمنه واستقراره وتقدمه، ليتسنى له المشاركة في صون أمن العالم كله، واستقراره وتقدمه.

من هذا المنطلق كان هذا الجهد المتواضع في استعراض موضوع الأمن والمخابرات من منظور إسلامي، هادفين به إلى توضيح مفهوم المخابرات وأساليبها وأهدافها، محاولين الإسهام في إقامة أجهزة امن ومخابرات تنطلق من مفاهيم إسلامية، تقاوم الهجمة الضارية على الإسلام والمسلمين، من خارج حدودهم، وتعمل على إتباع المنهج القويم في التعامل مع المواطنين داخل حدود موطنهم.

ونعترف أن هذا الجهد لا يقدم إحاطة كاملة بموضوعات الأمن والمخابرات، فقد آثر أن يتلمس السبيل إلى أهم الموضوعات، آملين أن يكون عوناً لأجهزة الدول الإسلامية، والمسلمين، أينما كانوا، وان يحفز الباحثين لمزيد من البحث والدراسة في هذا المجال الحيوي.

وبالله التوفيق وهو المستعان.

المصادر

1. ابن حنبل، أحمد بن محمد. فضائل الصحابة، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، 1983م.
2. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، 1984م.
3. ابن خلكان، شمس الدين. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار الثقافة، بيروت. ب ت.
4. ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن الكريم، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 1988م.
5. أبو هيف، علي صادق. القانون الدولي العام. منشأة المعارف، الإسكندرية، 1982م.
6. أبو النمل، حسين، الاقتصاد الإسرائيلي، دار النهضة العربية، بيروت، 1988م.
7. أبو نواس، الحسن بن هانىء. ديوان أبو نواس، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1986م.
8. الجادر، مدحت. غزاة في الظلام: جولات في غابة الاستخبارات والجاسوسية، مكتبة النهضة، بغداد، 1987م.
9. الجزائري، سعيد. المخابرات والعالم، دار الجيل، بيروت، 1989م.
10. الجوزية، ابن القيم. زاد المعاد في خير هدى العباد، دار المكتبة العلمية، بيروت، ب ت.
11. خالد، خالد محمد. رجال حول الرسول، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، 1981م.
12. رايت، بيتر. صائد الجواسيس، تعريب: عماد القسوس، دار الشروق، عمان 1981م.
13. رياض، عادل محمود. الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة، دار النهضة العربية، بيروت 1989م.
14. زكي، رمزي. الديون والتنمية، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1985م.
15. زهر الدين، صالح. أسرار من التاريخ: الدبلوماسية السوداء، دار الكاتب، بيروت 1985م.
16. سالنجر، بيار، ولوران أريك. حرب الخليج: الملف السري، الطبعة الثانية، دار أزال للتوزيع، بيروت، 1991م.
17. السلطان، عبد الله عبد المحسن. البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي، الطبعة الثالثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1989م.
18. سليم، محمد السيد. تحليل السياسة الخارجية، دار النهضة، القاهرة، 1989م.
19. سيد أحمد، عبد الله، وعلي، نوري طلعت. حرب النجوم، دار الشروق، عمان 1989م.
20. شابري، لورانت، وشابري، آني. سياسة وأقليات في الشرق الأدنى، تعريب: ذوقان قرقوط، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.
21. الشامي، علي حسين. الدبلوماسية، دار العلم للملايين، بيروت، 1990م.
22. الطنطاوي، علي. والطنطاوي، ناجي. أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر، دار الفكر، بيروت، 1970م.
23. عثمان، عثمان عبد. السياسة الخارجية للدولة الإسلامية، والاستراتيجية العليا في إدارة الصراع الدولي، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1994م.
24. غرين، ستيفن. مساومات مع الشيطان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1991م.
25. فرج، محمد. العبقرية العسكرية في غزوات الرسول، دار الفكر العربي، القاهرة، 1977م.
26. فندلي، بول. من يجرؤ على الكلام؟، شركة المطبوعات، بيروت، 1992م.
27. فوكاياما، فرانسيس. نهاية التاريخ، تعريب: حسين الشيخ، دار العلوم العربية، بيروت 1993م.
28. القاسمي، خالد بن محمد (مقدم). الاستراتيجية السياسية والعسكرية لحرب الخليج، الكتاب الثاني، دار الثقافة العربية، الشارقة، 1994م.

29. قربان، ملحم. الحقوق الإنسانية: فعل التزام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1989م.
30. كان، ديفيد. حرب الاستخبارات، تعريب: عبد اللطيف أفيوني، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982م.
31. كرم، انطونيوس. العرب أمام تحديات التكنولوجيا، عالم المعرفة، الكويت 1982م.
32. كريفيلد، مارتن فان. الحرب: تجهيزاً وتموينًا، تعريب: يزيد صائغ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984م.
33. مارنشيز، كونت، واندليمان، دانيرا. الحرب العالمية الرابعة: دبلوماسية وتجسس في عمر الإرهاب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1993م.
34. المتنبي، أحمد بن الحسين. ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1983م.
35. مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط، دار الفكر، القاهرة، 1973م.
36. مسلم، مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم، المطبعة المصرية، القاهرة، ب ت.
37. مقلد، إسماعيل صبري. الاستراتيجية والسياسة الدولية، الطبعة الثانية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1985م.
38. نافعة، حسن. الأمم المتحدة في نصف قرن، عالم المعرفة، الكويت، 1995م.

الهوامش

(1) سورة الشورى: الآية 30
(2) سورة يوسف: الآية 64.
(3) سورة آل عمران: الآية 154.
(4) سورة التين: الآيات 1 - 3.
(5) سورة النور: الآية 55.
(6) سورة النساء: الآية 102.
(7) سورة الأنفال: الآية 60.
(8) سورة طه: الآية 123.
(9) سورة البقرة: الآية 126.
(10) سورة قريش: الآيات 1 - 4.
(11) سورة النحل: الآية 112.
(12) سورة الأنفال: الآية 60.
(13) سورة التوبة: الآيات 3 - 7.
(14) سورة المائدة: الآية 1.
(15) سورة التوبة: الآية 7.
(16) سورة آل عمران: الآية 159.
(17) سورة آل عمران: الآية 159.
(18) سورة الأنعام: الآية 83.
(19) سورة النحل: الآية 90.
(20) سورة المائدة: الآية 8.
(21) سورة الأنعام: الآية 152.
(22) سورة النساء: الآية 58.
(23) سورة الأعراف: الآية 181.
(24) سورة الإسراء: الآية 16.
(25) سورة العلق: الآية 6، 7.
(26) سورة الإسراء: الآية 26.
(27) سورة الذاريات: الآية 19.
(28) سورة النساء: الآية 75.
(29) سورة الحجرات: الآية 13.
(30) سورة آل عمران: الآية 103.
(31) سورة النحل: الآية 90.
(32) سورة الحجرات: الآيات 10 - 12.
(33) سورة الممتحنة: الآيتان 8، 9.
(34) سورة البقرة: الآية 256.
(35) سورة آل عمران: الآية 64.
(36) سورة النحل: الآية 125.
(37) سورة العنكبوت: الآية 46.
(38) سورة المائدة: الآية 44.
(39) سورة البقرة: الآية 256.
(40) سورة يونس: الآية 99.
(41) سورة الأحزاب: الآية 21.
(42) سورة القلم: الآية 4.
(43) سورة التوبة: الآية 128.
(44) سورة يوسف: الآية 21.
(45) سورة القصص: الآية 26.
(46) سورة النساء: الآية 59.
(47) سورة النساء: الآية 85.
(48) سورة التوبة: الآية 105.
(49) سورة سبأ: الآية 11.
(50) سورة آل عمران: الآية 200.
(51) سورة آل عمران: الآية 161.
(52) سورة الأنفال: الآيتان 27، 28.
(53) سورة الأحزاب: الآيتان 70، 71.
(54) سورة الفرقان: الآية 67.
(55) سورة النجم: الآية 23.
(56) سورة الحجرات: الآية 6.
(57) سورة النمل: الآية 20.
(58) سورة الحديد: الآية 23.
(59) سورة الإسراء: الآية 29.
(60) سورة الرعد: الآية 28.
(61) سورة الأنعام: الآية 82.
(62) سورة لقمان: الآية 13.
(63) سورة البقرة: الآية 155.
(64) سورة الأنفال: الآية 45.
(65) سورة آل عمران: الآية 173.
(66) سورة آل عمران: 154.
(67) سورة هود: الآية 112.
(68) سورة يونس: الآية 89.
(69) سورة فصلت: الآية 30.
(70) سورة الأنفال: الآية 27.

(71) سورة الأنفال: الآية 28.
(72) سورة الممتحنة: الآية 1.
(73) سورة ق: الآية 18.
(74) سورة القلم: الآية 10، 11.
(75) سورة النساء: الآية 114.
(76) سورة النساء: الآية 140.
(77) سورة الإسراء: الآية 36.
(78) سورة الهمزة: الآية 1.
(79) سورة النساء: الآية 71.
(80) سورة النساء: الآية 102.
(81) سورة النساء: الآية 102.
(82) سورة التوبة: الآية 122.
(83) سورة البقرة: الآية 205.
(84) سورة البقرة: الآية 205.
(85) سورة البقرة: الآية 60.
(86) سورة الحشر: الآية 2.
(87) سورة الحشر: الآية 5.
(88) سورة قريش: الآيتان 3، 4.
(89) سورة الأنبياء: الآية 30.
(90) سورة النحل: الآيتان 10، 11.
(91) سورة الأنبياء: الآية 78.
(92) سورة الجمعة: الآية 10.
(93) سورة يوسف: الآية 55.
(94) سورة الشعراء: الآيات 181 - 183.
(95) سورة الرحمن: الآية 9.
(96) سورة المطففين: الآيات 1 - 3.
(97) سورة البقرة: الآية 276.
(98) سورة الأنعام: الآية 141.
(99) سورة الإسراء: الآية 29.
(100) سورة الحجرات: الآية 13.
(101) سورة آل عمران: الآية 149.
(102) سورة البقرة: الآية 120.
(103) سورة المائدة: الآية 8.
(104) سورة آل عمران: الآية 104.
(105) سورة الروم: الآيات 1 - 5.
(106) سورة الحشر: الآية 23.
(107) سورة البقرة: الآية 195.
(108) سورة الأنفال: الآية 60.
(109) سورة الحج: الآية 40.
(110) سورة التوبة: الآية 41.
(111) سورة الأنفال: الآيتان 45، 46.
(112) سورة الأنفال: الآية 60.
(113) سوره طه: الآية 120.
(114) سورة الحجرات: الآية 6.
(115) سورة النساء: الآية 71.
(116) سورة الشعراء: الآية 214.
(117) سورة الممتحنة: الآيتان 1، 2.
(118) سورة آل عمران: 149.
(119) سورة البقرة: الآية 120.
(120) سورة الحجرات: الآية 12.
(121) سورة يوسف: الآية 87.
(122) سورة الحجرات: الآية 12.
(123) سورة الحجرات: الآية 6.
(124) سورة التوبة: 120.
(125) سورة الأنفال: الآية 27.
(126) سورة الممتحنة: الآية 1.
(127) سورة التوبة: الآية 71.
(128) سورة آل عمران: الآية 173.
(129) سورة الأحزاب: الآية 22.
(130) سورة النساء: الآية 71.
(131) سورة آل عمران: الآية 121.
(132) سورة الجن: الآية 14.
(133) سورة الأنفال: الآية 60.
(134) سورة النمل: الآيتان 20، 21.
(135) سورة الأحزاب: الآيات 60 - 63.
(136) سورة الزخرف: الآية 19.
(137) سورة النور: الآية 11.
(138) سورة آل عمران: الآية 144.
(139) سورة آل عمران: الآية 173.
(140) سورة الإسراء: الآية 36.
(141) سورة الصف: الآية 4.
(142) سورة الحجرات: الآية 15.
(143) سورة الأنفال: الآية 63.
(144) سورة المنافقون: الآية 1.

(145) سورة آل عمران: الآية 78.
(146) سورة طه: الآيات 60 - 65.
(147) سورة الكوثر: الآيات 1 - 3.
(148) سورة الأنعام: الآية 10.
(149) سورة القلم: الآية 9.
(150) سورة الكافرون: الآيتان 2،1.
(151) سورة الفرقان: الآيتان 7 - 8.
(152) سورة ص: الآية 4.
(153) سورة المدثر: الآيات 11 - 30.